

أسرار القلب

بين القرآن والعلم



المهندس: الحسن عبد الحي الحسن

الحسن عبد الحي الحسن

hacenhaye@yahoo.fr

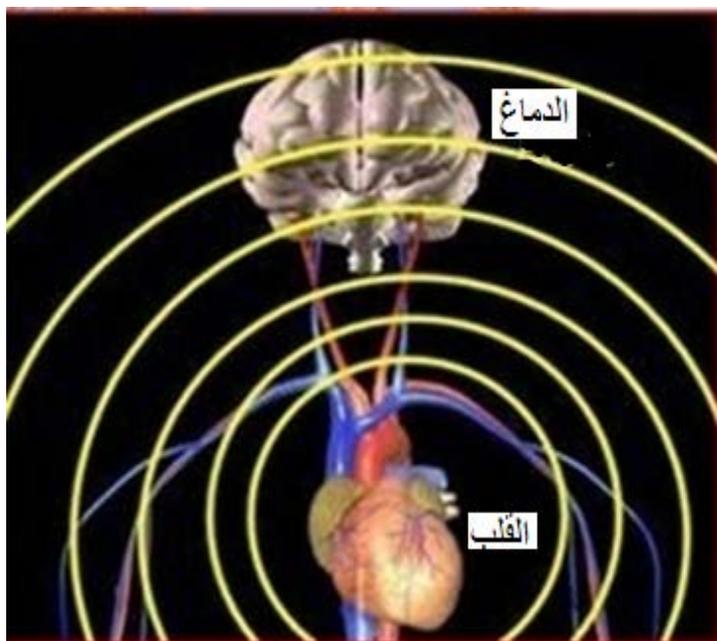
رقم الإيداع القانوني 1623 بتاريخ 2016-4-7
الترقيم الدولي: 8-482-456-977-978

طبع بدار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع بمصر
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

15277/2016

أسرار القلب بين

القرآن والعلم



إهداء:

أهدي هذا العمل إلى كل من كان له قلب
ممنكئ بالإيمان يعقل ويندبر آيات الله سبحانه
ونعالى وإلى والدي ووالدتي ومعلمي الأول
العلامة محمد يوسف ولد جيجا نعمة الله
جميعا برحمته وأسكنهم فسيح جنانه.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الحج الآية 46:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ﴾ صدق الله العظيم.

وجاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: {... ألا وإن في الجسد مضغة إذا
صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي
القلب} مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِطَرِيقِ كِتَابِ

محمد الحسن بن الدردو الشنقيطي

التاريخ: ١٩ / ٤ / ١٤٢٧ هـ
الموافق: ١ / ٢٩ / ٢٠١٦ م
الموضوع: نقريظ كتاب

رئيس مركز تفتير العلماء،
رئيس جمعية المستقبل
رئيس جامعة عبد الله بن عباس

الحمد لله .. أما بعدُ فإنِّي قد اطلعت على كتاب:
« أسرار القلب بين القرآن والعلم » لأخي الحبيب:
الحسن بن عبد الحين بن المختار السالم بن الحسن «عجا»
وقعه الله ونفع به، فإذ اهو يتميَّز بسبع ميزاتٍ
مهمَّة: أولها: الاعتماد على نصوص الوحي الصريحة
والدراسات العلمية العميقة، ثانيتهما: وقرة المراجع
من كتب التفسير والكتب العلمية والدراسات الحديثة
والمواقع العلمية على الشبكة، ثالثهما: جودة
الترجمة لما كان باللغات الأجنبية، رابعتهما: رصانة
الأسلوب ونصاعة اللغة السهلة المعاصرة، خامسهما:
دقة النقل والأمانة العلمية، سادسهما: الموضوعية
والابتعاد عن الجوازفة العاطفية، سابعتهما: جودة الترتيب
والتبويب وتقديم التصوُّر على التصديق وبناء النتائج على
المقدمات، لكل ذلك رجوتُ أن يكون قسماً من الله وتوفيقاً
له ما بعده، كتبه محمد الحسن بن الدردو



ملخص

انطلاقاً من الآيات الواردة في القلب ومدلولاتها وما جاء في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن القلب، وما توصل إليه العلم الحديث من حقائق، يأتي هذا البحث الذي أرجو أن يساهم في إظهار الدور الحقيقي للقلب وعلاقة التواصل بينه وبين الدماغ، وأن يدحض بالوقائع والإثباتات العلمية ما يروج له بعض الملحدين الضالين المضلين من أن القرآن العظيم مناقض للعلم فيما يخص وظائف القلب، وليستيقن الذين هم في شك من آيات القرآن العظيم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن دور القلب ويزداد الذين آمنوا إيماناً. كما انه محاولة لتوضيح ما يترتب على زراعة القلوب من نقل لصفات الواهب كالعادات والأخلاق وحتى العقيدة إلى المتلقي، حتى يكون عوناً لمن يفتي بجواز ذلك أو حرمة.

كما أمل أن يساهم في تطوير البحث العلمي في العالم الإسلامي على ضوء القرآن العظيم والسنة النبوية، وأن يكون اللبنة الأولى لإجراء دراسات متقدمة في طرق اتصالات القلب والدماغ (كهرومغناطيسية القلب) حتى يتم استنباط الإعجاز العلمي في آيات القلب والصدر لمناقشة العلماء والمتخصصين في هذا المجال واطلاعهم بطريقة علمية على ما ورد في القرآن العظيم والسنة النبوية من حقائق علمية عسى أن يكون ذلك سبباً في هدايتهم إلى الصراط المستقيم.

ينقسم هذا البحث إلى محورين:

المحور الأول: دراسة علمية عن القلب وقدراته وعلاقته بالدماغ وبقية الجسم تم خلالها جمع وحصر خلاصة كلام العلماء والمتخصصين في هذا المجال قدر الإمكان والاطلاع على بعض الدراسات ذات الصلة بالمجال وتلخيص نتائجها.

أما المحور الثاني: فهو القلب في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد كان من الأحرى أن أبدأ به قبل المحور العلمي ولكن امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري من حديث علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) فقد بدأت بالمحور العلمي حتى يكون معينا للقارئ على الفهم الجيد للمحور القرآني والذي قمت فيه بتصنيف الآيات والأحاديث الواردة في القلوب والصدور والأفئدة حسب الصفات والخصائص مستعينا على ذلك بكلام المفسرين والعلماء كما قمت فيه بمقارنة ما ورد في الآيات والأحاديث وما أثبتته العلم الحديث.

بعد النتائج والخلاصة تم اشفاق البحث بخمسين سؤالاً تشكل مجالا خصبا للبحث العلمي على ضوء القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة. كما أدعو الله العلي القدير أن يعينني على القيام في المستقبل بالمشاركة والاطلاع عن قرب على بعض الإحصائيات والمقارنات بين شخصيات الواهب والمتلقي والتجارب القائمة حاليا في المعاهد المتخصصة وكذلك إجراء دراسات عليا في طرق اتصالات القلب والدماغ (كهرومغناطيسية القلب) حتى أساهم مساهمة حقيقية في هذا المجال.

الفهرسة

17.....	مقدمة.....
21.....	المحور الأول: دراسة علمية للقلب.....
22.....	تمهيد.....
24.....	الفصل الأول: فيزيولوجيا القلب.....
24.....	1- تعريف.....
25.....	2- مكونات القلب.....
26.....	3- الدورة الدموية القلبية.....
29.....	3-1 حجم الضربة.....
29.....	3-2 الجزء المقذوف.....
30.....	3-3 الدفع القلبي (الناتج القلبي).....
30.....	4- التنظيم الداخلي لضخ القلب.....
30.....	5- كهرباء القلب.....
31.....	5-1 نظام التوصيل الكهربائي في القلب.....
31.....	5-1-1 العقدة الجيبية الأذينية.....
31.....	5-1-2 العقدة الأذينية البطينية.....
31.....	5-1-3 الحزمة الأذينية البطينية.....
32.....	5-2 مسار التيار الكهربائي داخل القلب.....
33.....	5-3 منظم ضربات القلب "البيسميكر".....

34.....	4-5 جهاز تخطيط القلب (ECG)	
36.....	المجال الكهرومغناطيسي للقلب	-6
36.....	1-6 تعريف الطاقة الكهرومغناطيسية	
37.....	2-6 الطاقة الكهرومغناطيسية للقلب	
38.....	3-6 الطيف الكهرومغناطيسي للقلب	
39.....	الجهاز العصبي للقلب	-7
41.....	الفصل الثاني اتصالات القلب والدماغ	
41.....	تعريف	-1
42.....	الاتصال العصبي	-2
44.....	الاتصال الكيميائي	-3
46.....	الاتصال الفيزيائي	-4
49.....	الاتصال الكهرومغناطيسي	-5
54.....	مقارنة بين عمل القلب وكيفية عمل الكمبيوتر	-6
56.....	الفصل الثالث: قدرات القلب	
56.....	تعريف	-1
56.....	القلب ملك الأعضاء	-2
57.....	ذاكرة القلب	-3
59.....	1-3 التعلم عن طريق التغذية الراجعة	
60.....	2-3 الذاكرة الخلوية	
62.....	3-3 مرض قصور القلب وتأثيره على الذاكرة	
65.....	القلب والإدراك	-4

-
- 5- القلب والحركات الإرادية..... 71
- 6- القلب والحالة النفسية..... 72
- 6-1 القلب والقلق..... 74
- 6-2 القلب والغضب..... 75
- 6-3 القلب والتشاؤم..... 78
- 6-4 القلب والتفاؤل..... 78
- 6-5 القلب والخوف..... 79
- 6-6 القلب والطمأنينة..... 80
- 82..... الفصل الرابع: زراعة القلوب
- 1- تعريف..... 82
- 2- عشر حالات موثقة بطريقة علمية..... 86
- 2-1 داني تعزف مقاطع موسيقية لم تسمعها من قبل..... 86
- 2-2 عجوز يتصرف وكأنه في سن المراهقة..... 87
- 2-3 متلقية تتصور أن شيئاً ما يصددها في صدرها..... 89
- 2-4 جيمي يخاف الماء بعد تلقيه قلب صبية ماتت غرقاً..... 90
- 2-5 متلقي يشعر بتغيرات فسيولوجية..... 91
- 2-6 داريل يكره اللعبة التي كانت سبباً في موت واهبه.... 91
- 2-7 رجل تتغير نظرته للسود بعد تلقيه قلب شاب أسود..... 92
- 2-8 أنجلا تتحدث مع قلب واهبتها..... 94
- 2-9 الصبي كارتر يحمل نفس صفات واهبه..... 95
-

- 10-2 - رجل يري في منامه صورة قاتل واهبه..... 96
- 3- عشر حالات خارج إطار المتابعة العلمية..... 97
- 1-3- كلير سيلفيا أول حالة تظهر للعيان..... 98
- 2-3- غراهام يلحد ويموت منتحرا على خطي واهبه..... 99
- 3-3- جيم من سائق شاحنة إلى شاعر..... 100
- 4-3- بيل ووهي يكتسب شخصية مميزة..... 101
- 5-3- دانيال يتسلق الجبال..... 102
- 6-3- طفلة تصف قاتل واهبتها..... 103
- 7-3- شارلوت تتعرف على أماكن لم تزرها من قبل..... 103
- 8-3- باتريسيا نقشعر لسماع الأغنية المفضلة عند واهبتها... 104
- 9-3- فتاة تشتم وتلكم بعد أن كانت تكره العنف..... 104
- 10-3- متلقي يرى في المنام واهبه ويصف له شخصيته.... 105
- 4- حالت أخري..... 105
- 5- القلب الصناعي..... 106
- المحور الثاني: القلب في القرآن العظيم..... 111
- تمهيد..... 113
- الفصل الأول: صفات عامة..... 115
- 1- المخاطبة والتكليف..... 115
- 2- الكسب والعمد (النية)..... 118
- 3- العلم والحفظ..... 120

122.....	4-	الفقه والفهم.....
123	5-	القلب محل العقل.....
131.....	6-	بصيرة القلب.....
133.....	7-	القلب مركز الخوف.....
133.....	7-1-	حالة الوجل.....
134	7-2-	حالة الرهبة.....
134.....	7-3-	حالة الفزع.....
134	7-4-	حالة الرعب.....
136.....	7-5-	حالة الوجف.....
137.....	7-6-	حالة الفراغ.....
139.....	7-7-	الربط على القلب.....
142	7-8-	ازدياد حجم القلب.....
143.....	8-	الكتمان والإخفاء.....
151.....	9-	الضييق والحرج.....
155.	10-	القلب محل المحبة.....
157.....	11-	عظمة الأمور في الصدور.....
158.....		الفصل الثاني: الصفات الحميدة.....
158.....	1-	الرأفة والرحمة.....
159.....	2-	الألفة.....
161.....	3-	وصف القلب باللين.....
162.....	4-	الهداية.....

-
- 163.....الإسلام -5
- 165.....الإيمان -6
- 167.....التقوى -7
- 168.....الخشوع -8
- 170.....التدبير -9
- 170.....الطمأنينة والسكينة -10
- 173.....,.....القلب محل الخير -11
- 174.....وصف القلب بالإتابة -12
- 175.....سلامة القلب -13
- 176 طهارة القلب -14
- 177.....الانشراح -15
- 179.....شفاء القلوب -16
- 180.....صلاح القلوب -17
- 182.....القلب محل الأمانة -18
- 183 القلب محل الصدق -19
- 182.....القلب محل البر وحسن الخلق -20
- 184.....**الفصل الثالث: صفات مذمومة**
- 184.....1- الضلال (الختم الطبع الران الإقفال و)
- 184.....1-1 الختم على القلوب
- 187.....2-1 الران على القلوب
- 188.....3-1 الطبع على القلوب
-

192.....	الإقفال على القلوب.	-4-1
192.....	الأكنة على القلوب.	-5-1
193.....	القلوب الغلف.	-6-1
194.....	الشد على القلوب.	-7-1
194	صرف القلوب.	-8-1
194	الغمرة.	-9-1
195	الإحالة بين المرء وقلبه.	-10-1
196.....	المرض (الكفر النفاق الحسد الحقد الفجور و.)	-2
196.....	الكفر	1-2
198.....	النفاق.	2-2
200.....	الحقد.	3-2
200.....	الحسد.	4-2
201	الغل.	5-2
202.....	الشك والريبة	6-2
203	الفجور	7-2
203	وصف القلب بالتقلب.	-3
205	وصف القلب بالغفلة.	-4
206.....	وصف القلب بالزيغ.	-5
207	وصف القلب بالإثم.	-6
210	وصف القلب بالإنكار.	-7
210.....	وصف القلب باللهو.	-8

9-	القلب محل التكبر.....	211.....
10-	النفور والاشمئزاز.....	213.....
11-	القسوة.....	213.....
12-	الغلظة.....	215.....
13-	الحسرة والحزن.....	215.....
14-	الغيظ.....	216.....
15-	البيغضاء.....	216.....
16-	الحمية.....	217.....
17-	الوسوسة.....	218.....
18-	تشابه القلوب.....	218
19-	تشنتت القلوب.....	219.....
20-	عذاب جهنم يقع في القلوب	220.....
21-	القلب محل الفتن.....	221.....
22-	القلب محل الذنوب.....	222.....
	نتائج البحث	225
1-	الدماغ يخزن والقلب يدرك	225
2-	خطورة زراعة قلب الكافر أو الفاسق للمسلم	226
3-	نزع الأجهزة عن المتوفي دماغيا	227
	الخلاصة.....	229.....
	ملحق: أسئلة للبحث.....	232.....
	المراجع.....	237.....

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله وبعد يقول الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]. انطلاقاً من هذه الآية وغيرها من الآيات وما

تحمله من معاني ودقة في التعبير مما لا يدع مجالاً للشك أن الذي يفهم ويعقل هو القلب الذي في الصدر وليس الدماغ الذي في الرأس كما اعتدنا أو عودنا حتى أصبحنا نخاف من مواجهة الأفكار المتداولة والتي أوهمنا أصحابها أن لها قوة الحجة العلمية ونخفي ونداري تأملاتنا وفهمنا المغاير وغير المتوافق مع إسقاطات المجتمع في كثير من الأمور. يأتي هذا البحث لمحاولة كسر طوق التردد والخوف ومساهمة بإلقاء حجر في بركة التحدي أو بالأحرى السباحة عكس النمطية والانطباعية والإسقاط. فقد اعتاد الناس أو عودوا على التفريق بين مهام الدماغ ومهام القلب فألصقوا للدماغ مهمة التفكير والفهم والإدراك ويسمونه العقل أو تعارفوا على ذلك، بينما اعتبروا القلب مجرد مضخة للدم لا أكثر ولا أقل. ولكن ثبت علمياً وبالملاحظات التجريبية الدقيقة أن القلب هو أكثر أجزاء الجسم تعقيداً، وأكثرها دقة وغموضاً، وأنه يتحكم في المخ أكثر من تحكم المخ فيه.

ويرسل إليه من المعلومات أضعاف ما يتلقى منه في علاقة عجيبة بدأت الدراسات الطبية المتقدمة في الكشف عنها، ويشهها أطباء القلب بجهاز إرسال إذاعي بين القلب والمخ يعمل بواسطة عدد من الحقول المغناطيسية التي يصدر أقواها من القلب إلى المخ فيسبق القلب المخ في ردود فعله وهو ما يؤكد أن مسألة الفهم والإدراك والاعتقاد والمشاعر مرتبطة كلها بالقلب الذي في الصدر وليس بالدماغ الذي في الرأس. هذا المفهوم الجديد سوف يغير مفاهيم عديدة عن علاقة العقل بالقلب والدماغ فعلم الطب لا يزال متخلفاً في هذا المجال وهذا من اعتراف علماء الغرب أنفسهم فهم لم يعطوا اهتماماً لهذه الظاهرة، ولم يدرسوا علاقة العاطفة والنفس بأعضاء الجسم، بل يتعاملون مع الجسم وكأنه مجرد آلة، وهم يجهلون تماماً العمليات الدقيقة غير الفيزيولوجية التي تحدث في القلب والدماغ، يجهلون كيف يتذكر الإنسان الأشياء وكيف ينساها، ولماذا ينبض القلب، ولماذا تزداد نبضاته عند الحزن والفرح والحب والكرهية، وما الذي يجعل هذا القلب ينبض، أشياء كثيرة يجهلونها، فهم ينشرون في أبحاثهم ما يشاهدونه فقط، كل شيء لديهم بالتجربة والمشاهدة والحواس... الخ. أما نحن المسلمين فنستورد مفاهيم الغير ونتبع ما ألفينا عليه الناس وليس لدينا أدنى استعداد للبحث والمقاربة، ويسيطر علينا الخوف والتردد عند مواجهة أفكار الغرب رغم أننا نملك بين أظهرنا كتاب الله فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به

الأهواء، ولا يشيع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، لكننا اتخذناه مهجوراً يقول الله تبارك وتعالى في سورة الفرقان:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[الفرقان 30]. فالقرآن ذكر قبل 14 قرناً أن مركز التفكير والفهم والإدراك والعواطف هو القلب الذي في الصدر وليس الدماغ الذي في الرأس وذلك في أكثر من 190 موضع كما جاء في السنة النبوية الشريفة عدد كبير من الأحاديث ليؤكد ذلك. ولم يرد ذكر الدماغ بصريح العبارة في القرآن العظيم إطلاقاً.

إذن كلما علينا هو الرجوع إلى كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا كنا نريد أن نستعيد موقعنا بين الأمم، ففي الغرب حيث العلم التجريبي والأبحاث التطبيقية تتواصل جهود العلماء لتؤكد وتثبت حقائق مطلقة موجودة في القرآن ولتؤكد السبق القرآني الذي لم نحسن نحن فهمه وتطبيقه فكل المعارف التي اكتشفت في العقدين الحالي والماضي تثبت لكل ذي بصيرة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والله ولي التوفيق.

الحسن عبد الحي الحسن

المحور الأول: دراسة علمية للقلب

على مدى سنوات طويلة درس العلماء القلب من الناحية الفيزيولوجية وقالوا إنه مجرد مضخة للدم لا أكثر ولا أقل ويخضع لتوجيهات الدماغ مثله مثل باقي أعضاء الجسم. ولكن ثبت علمياً أن القلب يُخلق في الجنين قبل الدماغ، ويبدأ بالنبض منذ تشكله وحتى موت الإنسان. كما كان يعتقد أن الدماغ هو الذي ينظم نبضات القلب، ولكن مع التقدم العلمي لاحظ الباحثون أشياء غريبة وذلك أثناء عمليات زراعة القلب. فعند زراعة القلب في صدر المريض يبدأ بالنبض على الفور دون أن ينتظر إشارة أو أمراً من الدماغ. كما أنه أحياناً يموت الدماغ ويظل الإنسان حياً لأن قلبه ينبض وهذا ما يسمونه بالموت السريري مما يعني أن القلب مستقل عن الدماغ من حيث النبض وباقي الوظائف. كما أثبت العلم الحديث أن القلب يعتبر الجزء الأكثر دقة في جسم الإنسان والذي يعكس كيفية شعوره، كما أنه ينبض برسائل مختلفة ترتبط بقوة مع الحالة العاطفية للإنسان وهو يرسل معلومات إلى الدماغ أكثر مما يتلقى منه. كما يعتقد العلماء أن للقلب قدرة خاصة على تخزين المعلومات ومعالجتها، وقد أثبتت أحدث دراسات أجريت على القلب أنه عضو حيوي بشكل هائل وفعال في جسم الإنسان، وأنه على تواصل دائم مع الدماغ وباقي أجزاء الجسم، وأنه يفرز كما من الهرمونات يحملها الدم إلى مختلف أجزاء الجسم وأولها الدماغ. كما ثبت أن المخطط الكهربائي للقلب هو أكبر بكثير من المخطط الكهربائي للدماغ. وفي كل نبضة ينبض بها القلب يولد طاقة مغناطيسية تفوق الطاقة المغناطيسية للدماغ بخمسة آلاف ضعف، ويتواصل عبرها مع الدماغ ومع باقي أجزاء الجسم.

كما أثبت أطباء القلب بأنه يتواصل مع المخ، وينسق معه جميع أنشطته وأنه أكثر تعقيدا مما نتصور، فقد اكتشفوا مؤخرا وجود جهاز عصبي بالقلب يشبه المخ تماما له ذاكرة قصيرة وطويلة الأمد وقد اتضح ذلك بجلاء عند نقل قلب من إنسان إلى آخر حيث يحمل هذا القلب معه بعض الذكريات والمواهب، والعواطف والمشاعر، والهوايات، والسجايا والتفضيلات الخاصة بالشخص الذي أخذ منه، والتي تبدو غريبة كل الغرابة عن صفات الشخص المتلقي لهذا القلب. وقد ثبت بالتجربة أن أحد الأعراض الناتجة عن العمليات الجراحية للقلب هو فقدان جزء من الذاكرة، ولذلك استنتج العلماء أن للقلب القدرة على التفكير والشعور والعاطفة والانفعال وتخزين المعلومات في ذاكرة تشبه ذاكرة المخ. بالإضافة إلى هذا كله أثبت العلم الحديث أن القلب يتكون من خلايا نبيلة لا تتكاثر ولا تتغير فهي ترافق الإنسان من بداية تكوينه وحتى موته شأنها شأن خلايا الدماغ التي لا تتكاثر ولا تتغير، رغم أن كل خلايا الجسم تتبدل كل عشر سنوات وفيها ما يتبدل كل ثلاثة أيام لكن خلايا القلب والدماغ لو تبدلت لنسي كل منا من هو وماذا يعمل وأين يسكن إلى غير ذلك من المعلومات!

ينقسم هذا المحور إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: فيزيولوجيا القلب وكيف يعمل.

الفصل الثاني: طرق اتصالات القلب مع الدماغ.

الفصل الثالث: قدرات القلب من إدراك وقدرة على التعلم والتحكم في الدماغ.

وأخيرا الفصل الرابع: زراعة القلب وقصص من الواقع.

الفصل الأول: فيزيولوجيا القلب

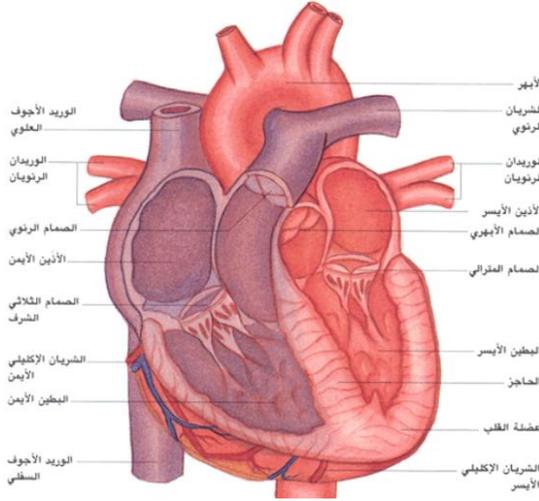
1- تعريف

يعتبر القلب عضو عضلي ذو أربعة تجاويف موجود في جوف الصدر ويحتل الناحية الوسطى الواقعة ما بين الرئتين وهو مخروطي الشكل تقع قمته في الزاوية اليسرى والسفلى من الصدر وتسمى بقمة القلب بينما تقع قاعدته أي جذره في الزاوية اليمنى العليا. يبلغ وزن القلب (250-300) غرام ويصل حجمه بالنسبة للرجال في المتوسط (700-800) سم³ والسيدات (500-600) سم³ ويصل في بعض الأحيان عند الرياضيين إلى 1200 سم³، أما طوله فيبلغ في المتوسط 14سم والعرض 12سم ويبلغ حجم تجاويف البطينين حوالي 250-300 ملم ويقل بعض الشيء بالنسبة للسيدات. وهو يُخلق في أول أيام الأسبوع الثاني قبل الدماغ، ويبدأ بالنبض منذ تشكله. ويضخ الدم في مختلف أنحاء الجسم بعد 21 يوماً من الحمل، حيث يصل ضخ القلب في اليوم عند الشخص البالغ أكثر من 7000 لتر من الدم يضخها أثناء انقباضه وانبساطه لأكثر من 100.000 مرة كل يوم في شبكة من الشرايين والأوعية لو وصلت مع بعضها لبلغ طولها 100.000 كلم!! كما يؤكد ذلك نموذج فريد يحتفظ به في المتحف الملكي في لندن، وتتداخل هذه الشرايين والأوعية في جسم الإنسان، بطريقة معقدة لتنقل الدم إلى جميع خلايا الجسم البالغة أكثر من 300.000 مليار خلية، تأخذ الأكسجين لتحرقه في صنع غذائها، وتطرح غاز الكربون والنفايات السامة التي يأخذها

الدم ويضخها عبر القلب لتقوم الرئتان بتنقية هذا الدم وطرح غاز الكربون من خلال عملية التنفس (الشهيق والزفير)، وهو ما يعني ارتباط القلب بهذه الخلايا حيث أنه هو العضو الوحيد الذي لديه تواصل مع جميع خلايا الجسم حتى الخلايا الموجودة في الشعر والتي لو كانت موصولة بالدماغ والشبكة العصبية لما كان يمكن قطع شعرة إلا بإجراء عملية جراحية.

2- مكونات القلب

يتكون القلب من أربع حجرات رئيسية (الأذنان والبطينان): الأذنان هما الحجرتان الصغيرتان اللتان تتلقيان الدم العائد من الجسم (الأذين الأيمن) أو من الرئتين (الأذين الأيسر)، يتقلص الأذنان تقلص ضعيف نسبياً ويفيد بشكل رئيسي في دفع الدم نحو البطينين. البطينان هما الحجرتان الرئيسيتان اللتان تضخان الدم من القلب حيث يتم دفعه إلى الرئتين والجسم، ويكون سمك جدار البطين الأيمن أقل من الأيسر بثلاث مرات إذ يعد البطين الأيسر أقوى حجرة في القلب على الإطلاق وذلك بسبب وظيفته حيث يقوم بدفع الدم إلى جميع أنحاء الجسم ما عدا الرئتين. الرسم التخطيطي التالي يوضح باقي عناصر القلب:



الرسم 1: عناصر القلب

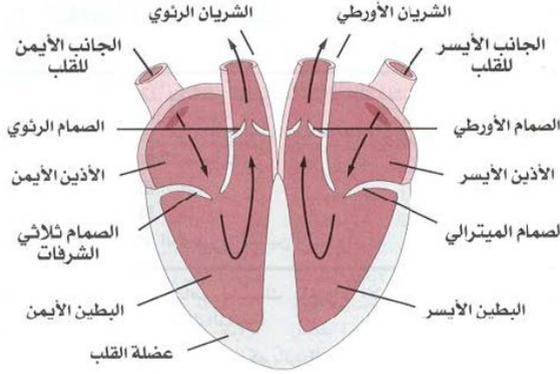
3- الدورة الدموية القلبية

للقلب أداة ناظمة تسمى العقدة الجيبية الأذينية وتقع عند منطقة اتصال الوريد الأوجف العلوي بالأذين الأيمن حيث تتولد إشارات كهربائية من هذه العقدة وتنتشر في البداية في الأذنين مسببة انقباضهما ودفع الدم إلى البطينين، وبعد فترة تأخر قصيرة تسمح بامتلاء البطينين بالدم تمر الإشارات في البطينين اللذين ينقبضان ويضخان الدم إلى الجسم والرئتين. يعمل القلب بتوقيت وانسجام تامين وفي العادة تستغرق دورة العمل في القلب جزءاً يسيراً من الثانية، ولهذا فإن النبض يتراوح بين 70-80 نبضة في الدقيقة، ويزيد عن ذلك عند الإجهاد العنيف وعند الإثارة الشديدة وتعليل ذلك أنه كما أن السيارة تتطلب وقوداً أكثر عند السرعة وصعود المرتفعات

كذلك الجسم يتطلب مزيداً من الدم عند الإثارة ويلجأ القلب إلى قواه الاحتياطية فتتضاعف دقاته ليمد العضلات العاملة بكمية كافية من الدم. ولنتتبع كيف يتدفق الدم في أنحاء الجسم ودور القلب في تنظيم مراحل ذلك:

- 1- بعد أن يستهلك الجسم الأكسجين الموجود في الدم، يدخل الدم إلى الأذنين الأيمن للقلب من الوريد البابي العلوي والوريد البابي السفلي.
 - 2- ينقبض الأذنين الأيمن ليضخ الدم إلى البطين الأيمن عبر الصمام الثلاثي
 - 3- ينقبض البطين الأيمن ليضخ الدم إلى الشرايين الرئوية عبر الصمام الرئوي
 - 4- في الرئتين يجري تحميل الدم بالأكسجين الذي تنتفسه.
 - 5- يتدفق الدم الغني بالأكسجين من الرئتين إلى الأذنين الأيسر.
 - 6- ينقبض الأذنين الأيسر ليضخ الدم إلى البطين الأيسر عبر الصمام المائترالي.
 - 7- ينقبض البطين الأيسر ليضخ الدم عبر الصمام الأورطي إلى أنحاء الجسم من خلال أكبر شريان في الجسم وهو شريان الأبهري.
 - 8- تأخذ الأنسجة والأعضاء الأكسجين والمواد الغذائية المحملة في الدم
 - 9- أخيراً، يعود الدم إلى الأذنين الأيمن، وتبدأ الدورة الدموية من جديد.
- ومن المهم ملاحظة أن انقباضات حجرات القلب تتم بتزامن ووفق نسق

منتظم. ذلك أنه في البدء ينقبض الأذنان معا ثم ينقبض البطينان معا، ومرحلة الانقباضات هذه ينتج عنها ضخ الدم للجسم عبر الشرايين، وسريان الدم في الشرايين وفق نظام الضخ المتقطع هو ما يعطينا نبضات نشعر بها حينما نضغط برفق على الشريان. والسرعة الطبيعية لنبض القلب في حالة الراحة تتراوح عادة بين 60-100 نبضة في الدقيقة تحصل بسبب تنشيط عضلات القلب بتيار كهربائي ذي قوة ضعيفة ينبع من العقدة الجيبية الموجودة في الأذين الأيمن. ينتج عنه انقباض الأذنين وبالتالي ضخ الدم منهما إلى البطينين. ثم ينتقل هذا التيار الكهربائي، عبر ألياف تشبه الأسلاك الكهربائية إلى منطقة أخرى بين الأذنين والبطينين تدعى العقدة الأذينية البطينية. ومنها ينتقل إلى البطينين ويسبب انقباضهما، وبالتالي ضخ الدم منهما. وتختلف سرعة نبض القلب من شخص لآخر خلال النشاط البدني أو خلال الراحة ويعد هذا الاختلاف أمرا طبيعيا إذا لم يسبب انخفاضا كبيرا في ضغط الدم بسبب زيادة أو نقص سرعة نبض القلب. فضغط الدم يتولد بفعل تقلصات القلب. يمكن للقلب أن يضخ الدم بسرعة 150 ضربة في الدقيقة لحالات التوتر الجسدي أو الانفعالي. ويمكن أن يتباطأ إلى 50 ضربة في الدقيقة في وقت الراحة. الرسم التخطيطي التالي يوضح تدفق الدم داخل القلب:



الرسم 2: تدفق الدم داخل القلب

1-3 حجم الضربة:

ويرمز له بالرمز (SV) وتسمى كمية الدم التي يتم اندفاعها من البطين الأيسر أثناء انقباضه بحجم الدم عند نهاية الاسترخاء (EDV) بينما كمية الدم المتبقية في البطين بعد خروج الدم إلى الأهر تسمى حجم الدم عند نهاية الانقباض (ESV) والفرق بينهما يمثل حجم الضربة الحقيقية وهي كمية الدم المرسل إلى أعضاء الجسم. ($SV = EDV - ESV$)

2-3 الجزء المقذوف:

ويرمز له بالرمز (EF) ويعرف الجزء المتبقي من الدم بين كل انقباض وارتخاء لعضلة القلب بفرق القيمة أو بفرق الجزء المندفع من البطين، وهي كمية الدم الداخل إلى البطين والذي تم ضخه فعلاً أثناء عملية الانقباض ويعبر عنه بنسبة مئوية تتراوح من 60-70% وقت الراحة ويزداد عندما

ينقبض البطينان في حالة بذل الجهد البدني أو النفسي وكلما زادت نسبة الدم الخارجة دل ذلك على قوة انقباض القلب ($EF=SV/EDV$)

3-3 الدفع القلبي (الناتج القلبي):

ويرمز له بالرمز (C.Q)، وهو الحجم الكلي للدم الذي تم ضخه بواسطة البطين الأيسر في الدقيقة وهو حاصل ضرب معدل ضربات القلب (HR) في حجم الضربة (SV) أثناء الراحة وتختلف باختلاف وضع الجسم والجهد الذي يؤديه. ($C.Q = SV \cdot HR$).

4- التنظيم الداخلي لضخ القلب

كلما كان امتلاء القلب بالدم أكبر أثناء الانبساط كلما كبرت كمية الدم التي يضخها إلى الأبهري وبمعنى آخر يضخ القلب ضمن حدود فيزيولوجية كل الدم الذي يصله دون أن يسمح بتراكم كميات كبيرة منه في الأوردة أي أن القلب يتمدد إلى درجة أكبر عندما تجري إليه كمية إضافية من الدم ويضخها إلى الشرايين بسبب زيادة قدرته على الضخ أوتوماتيكيا وهذا ما يطلق عليه آلية فرانك-ستارلنك.

5- كهرياء القلب

كهرياء القلب، هي المنظومة التي تتحكم في إيقاع القلب وانتظام ضرباته، حيث ينقبض بمعدل من 60 إلى 100 مرة في الدقيقة، وحتى يتحقق هذا المعدل المنتظم، لا بد أن تصدر إشارة كهربية من مجموعة من الخلايا تقع في أعلى الأذنين الأيمن وتتحكم بإيقاع القلب. كما ورد سابقا ويبلغ جهد

الفاعل في العضلة القلبية السوية 85 إلى 95 ملي فولت تقريبا ويبلغ حوالي 90 إلى 100 ميلي فولت في الألياف الموصلة المتخصصة (الياف بركنجي) كما يبلغ جهد الفعل المسجل من العضلة البطينية حوالي 105 ملي فولت.

1-5-1 نظام التوصيل الكهربائي في القلب

يتألف جهاز التوصيل في قلب الإنسان من الأجزاء التالية:

1-1-5 العقدة الجيبية الأذينية:

وهي كتلة صغيرة من النسيج العضلي توجد في جدار الأذين الأيمن بالقرب من النقطة التي يصب عندها الوريد الأجوف العلوي في الأذين الأيمن، وتتكون هذه العقدة من الياف عضلية متحررة والياف عصبية وبعض الخلايا العصبية، ويعتقد انها تنشأ من جدار الجيب الوريدي للقلب.

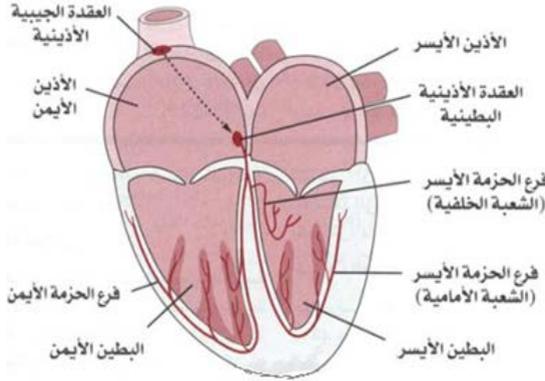
2-1-5 العقدة الأذينية البطينية:

وتوجد أيضا في جدار الأذين الأيمن ولكن من أسفل الحاجز الذي يفصل بين الأذنين وتتكون هذه العقدة من نسيج مشابه لنسيج العقدة الأولى.

3-1-5 الحزمة الأذينية البطينية:

وتسمى أيضا حزمة هيس، وتنشأ من العقدة الأذينية البطينية ثم تمتد إلى أسفل لمسافة قصيرة تتفرع بعدها إلى فرعين (أيمن وأيسر)، فرع لكل بطين ثم يمتد الفرعان بعد ذلك إلى أسفل على جانبي الحاجز الذي يفصل بين البطينين حتى يصل إلى قمة القلب المستديرة، ثم يصعد الفرعان بعد ذلك

إلى أعلى في اتجاه قاعدة القلب ويمتد كل فرع موازيا للجدار الجانبي للبطين. كما يوضح الشكل التالي:



الرسم 3: نظام التوصيل الكهربائي للقلب

2-5- مسار التيار الكهربائي داخل القلب

تعد العقدة الجيبية المنشأ السوي للدفعة الكهربائية، إذ تمثل الناظمة الطبيعية للقلب، وتسير الدفعة الكهربائية ضمن الخلايا المجاورة لجهاز التوصيل ويؤدي جريان الدفعة هذا بدوره إلى ظهور تيار كهربائي يمر بعد ذلك من خلية إلى أخرى، أما الجزء الثاني من نظام التوصيل فهو المسالك الكهربائية في الأذنين والتي يسير عبرها التيار الكهربائي في رحلته نحو البطينين، أما الجزء الثالث لنظام التوصيل فهو العقدة الأذينية البطينية وتشبه هذه العقدة بوابة تبطئ التيار الكهربائي قبل أن تسمح له بالعبور للبطينين، ويضمن تأخر التوصيل هذا عند العقدة الأذينية البطينية تقلص الأذنين لفترة قصيرة قبل تقلص البطينين مما يسمح بمزيد من

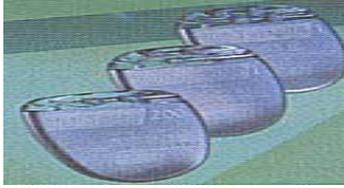
الوقت لامتلاء البطينين، بعد مغادرة التيار للعقدة الأذينية البطينية يتجه نحو نسيج توصيل متخصص يدعى جهاز هيس-بركنجي، وينتشر عبر جهاز المسالك المتفرعة الموجود في نسيج التوصيل الكهربائي المتخصص بسرعة عبر الخلايا العضلية للبطينين الأيسر والأيمن.

تكون الفترة الفاصلة بين بدء الدفعة الكهربائية في العقدة الجيبية واكتمال وصولها عبر نظام التوصيل إلى خلايا العضلة القلبية قصيرة إذ تبلغ نحو ثانية وسطيا عندما ينقبض القلب بمعدل 70 نبضة/للدقيقة وينجم نحو نصف هذه الفترة عن التأخير المبيت عند العقدة الأذينية البطينية.

يمكن للخلايا القلبية أن تبدأ دفعاتها الكهربائية الذاتية وتقلصاتها بنفسها، ومع أن الجهاز العصبي يمكنه تعديل سرعة ضربات القلب غير أنه لا يمثل القوة المسؤولة عن ضرباته فحتى لو استوصل القلب من الجسم فإنه يستمر بالتقلص لفترة من الزمن وفي الواقع حتى إذا أخفقت العقدة الجيبية في العمل يمكن أن تأخذ مواضع أخرى مكانها.

3-5- منظم ضربات القلب "البيسميكر"

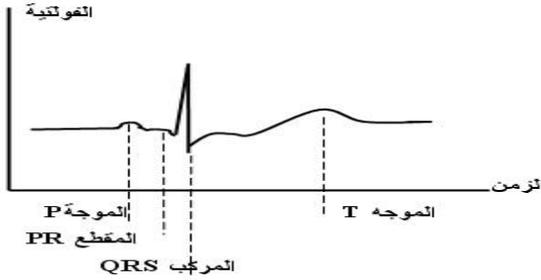
في حالة وجود خلل في نظام التوصيل الكهربائي للقلب يزرع للمريض جهاز صغير يدعى البيسميكر وهو مزود ببطارية صغيرة وظيفتها إرسال تنبيهات كهربائية للقلب بصورة دورية مما يؤدي إلى انقباض القلب بصورة منتظمة وملائمة ليقوم بضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم.



الرسم 4: منظم ضربات القلب (البيسميكر)

4-5- جهاز تخطيط القلب (ECG):

جهاز تخطيط القلب هو تسجيل للنشاط الكهربائي للقلب بواسطة الألكترودات موصلة بالجلد، حيث تنقل هذه الألكترودات الإشارات الكهربائية في القلب إلى مخطط كهربائية القلب وبمساعدة سائل الجسم التي تعمل على نقل الإشارة الكهربائية لأسطح الجلد، وتسجل الإشارات الكهربائية عادة بشكل موجات تظهر على ورق التخطيط الذي يتحرك في هذا الجهاز بسرعة محددة، ومن الجدير بالذكر أن هذه الألكترودات تحاول كشف تيارات كهربائية صغيرة جداً لذا لا بد من المحافظة على تماس جيد مع الجلد وتستعمل مادة هلامية لتحسين هذا التوصيل، وفي الرسم البياني التالي يمثل الخط الأفقي المخطط الزمني بينما يمثل الخط العمودي الفولتية أو قوة الدفعات الكهربائية للقلب:



الرسم 5: تخطيط كهربائية القلب

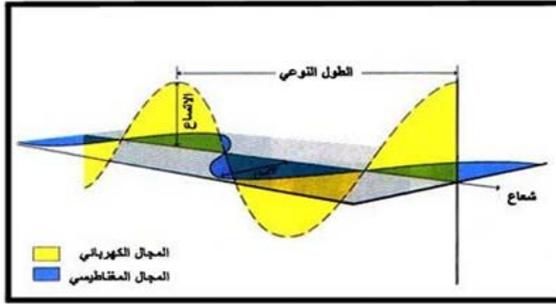
تتكون القراءة التي يعطيها تخطيط كهربائية القلب من مجموعة موجات تظهر الكثير حول الإشارات الكهربائية في أجزاء القلب، فالموجة "P" تبدي الدفعة وهي تسير عبر الأذنين، ثم يأتي المقطع "PR" بعد الموجة P وهي جزء منبسط يمثل زمن مرور الدفعة عبر العقدة الأذينية البطينية، ويظهر المركب "QRS" عندما تسير الدفعة عبر البطينين، بينما تتشكل الموجة "T" خلال استعادة العضلة القلبية لكهربائيتها السوية تحضيراً للضربة اللاحقة. هذا المخطط يحمل بين طياته أدق التفاصيل ويمكن الأطباء من معرفة حالة المريض من عدة نواحي وخاصة حالة القلب وهو يشبه إلى حد كبير مخطط الموجة الحاملة المستعملة في الاتصالات اللاسلكية والتي تأخذ نفس الشكل في أجهزة القياس رغم ما تحمله بين طياتها من معلومات متعددة ومختلفة قد تكون رسائل مكتوبة أو مسموعة أو حتى مرئية يتم الكشف عنها وتنقيتها من الشوائب بواسطة أجهزة الاتصالات المعروفة. لذا علينا البحث عن أدوات تمكننا من فك شفرة مخطط القلب ECG ومواصلة

البحث لمعرفة أدق التفاصيل عن التغيرات التي تطرأ على هذا المخطط وارتباط ذلك بما يحمله من معلومات من القلب باقى أعضاء الجسم وخاصة الدماغ.

6- المجال الكهرومغناطيسي للقلب

1-6-تعريف الطاقة الكهرومغناطيسية:

الطاقة الكهرومغناطيسية هي عبارة عن إشعاع يتألف من حركتين اهتزازيتين متوافقتين تتحركان في مستويين متعامدين، مصدر الحركة الأولى حقل كهربائي والثانية حقل مغناطيسي كما في الشكل التالي:



الرسم 6: الموجة الكهرومغناطيسية

تتحرك الموجات الكهرومغناطيسية بشكل جيبي وتسير بسرعة الضوء 300.000 ألف كلم/ثانية. ومن خواص هذه الموجات أنها تنتقل في خطوط مستقيمة في الوسط المتجانس الواحد، وكلما قطعت هذه الموجات مسافة أطول كلما ضعفت قوتها بحسب نوعيتها، والمسافة بين قمتين متتاليتين أو قاعين متتاليتين أي طول الموجة أو الطول النوعي.



الرسم 7: طول موجة القلب

2-6- الطاقة الكهرومغناطيسية للقلب:

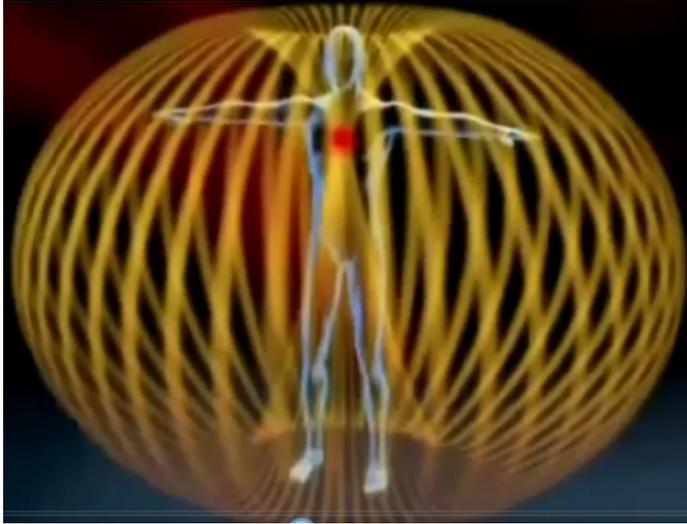
أجرى معهد رياضيات القلب بكاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية) منذ تأسيسه سنة 1991 العديد من التجارب أثبتت من خلالها أن القلب هو أكبر مولد للإشارات الكهرومغناطيسية في الجسم بصفة دورية ويبتث مجالاً كهربائياً هو الأقوى بين أعضاء الجسم، ويعتبر المجال المغناطيسي الصادر عنه كموجة ناقلة للمعلومات وتسمى الموجة الحاملة. ويختلف شكل هذه الموجة حسب المعلومات التي تتم طباعتها عليها كالحالة العاطفية مثلا فإذا كنت تشعر بالغضب أو الإحباط يختلف شكل هذه الموجة الحاملة كثيرا عما لو كنت تشعر بالحب أو بالسعادة كما اكتشف أن معدل ضربات القلب يرتبط ارتباطا وثيقا بالعواطف والمشاعر.

يقول الدكتور مكارتي^[1] مدير البحث بهذا المعهد: "إن الأمر أشبه بجهاز إرسال إذاعي فالقلب يشع حقولا قوية وهو المصدر الأقوى للحقول الكهرومغناطيسية في الجسم، ويمكننا أن نقيس الحقل المغناطيسي للقلب

من بعد ثلاثة أمتار عن الجسم وهو ينتشر إلى أبعد من ذلك، لكن الأجهزة التي لدينا الآن لا يمكنها قياس هذا المجال لمسافة أكبر."

6-3- الطيف الكهرومغناطيسي للقلب:

يطلق القلب المعلومات عبر أمواج كهرومغناطيسية تنفذ إلى كل خلية في الجسد عبر شبكة اتصالات كثيفة تربطه بالدماغ والجسد، ويعتبر مجاله الكهربائي أقوى 60 مرة من المجال الكهربائي الذي ينتجه الدماغ. كما أن المجال المغناطيسي للقلب أقوى 5000 مرة من المجال المغناطيسي للدماغ، ويمكن رصده من مسافة بضعة أقدام بواسطة أجهزة قياس الطيف الكهرومغناطيسي كما يوضح الرسم التالي:

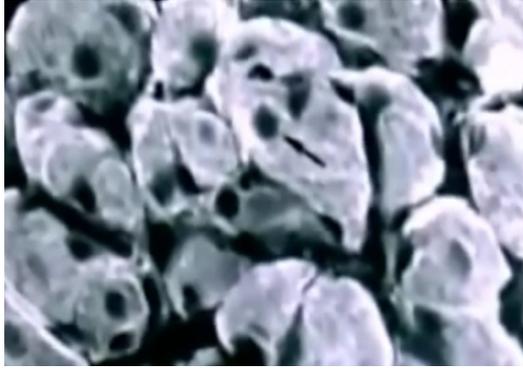


الرسم 8: المجال الكهرومغناطيسي للقلب^[2]

7- الجهاز العصبي للقلب

بعد عدة سنوات من معالجة المصابين بأمراض القلب لاحظ طبيب الأعصاب الدكتور آر مور^[3] المتخصص في علم «أعصاب الغدد الصماء» والأستاذ بكلية الطب بجامعة مونتريال بكندا، أن هناك أموراً تتعلق بالقلب أكثر مما استطاع أن يفسره النموذج العلمي الحديث. يقول: "إنه في الستينيات لم يكن هناك أي اعتبار للجهاز العصبي وكان القلب مجرد مضخة والسبب هو أنه لم يكن لدى الناس قدرة على رؤية قلوبهم في أي شكل آخر أما في الخمسين سنة الأخيرة فقد أصبحت لدينا القدرة على رصد حركة القلب والخلايا العصبية التي فيه بدقة".

الدكتور آر مور أثبت في عام 1991 أن للقلب جهاز عصبي خاص به أطلق عليه ولأول مرة في تاريخ الطب الحديث «مخ القلب»، ووجد أنه يتكون من مجموعة معقدة من الخلايا العصبية أكثر من أربعين ألف خلية عصبية وهي منظمة في أعلى الأذنين الأيمن حيث توجد هناك العقدة المعروفة بالعقدة العصبية تنظم النبضات وهي مستقلة عن الدماغ وتحفظ القلب بعد فصله عن الجسم بحالة لا يتوقف فيها عن النبض لمدة أربع ساعات. هذا النظام العصبي المستقل هو الذي يجعل القلب المزروع يقوم بوظائفه في الجسم الجديد دون حاجة للرجوع إلى الدماغ لأنه في حالة زراعة القلب تكون الموصلات العصبية للقلب مع الدماغ قد قطعت ولا يعاد توصيلها لفترة من الزمن.



الرسم 9: صورة لدماع القلب [4]



الرسم 10: مقطع الخلايا العصبية للقلب [5]

الفصل الثاني: اتصالات القلب مع الدماغ

1- تعريف

يتصل القلب مع الدماغ من خلال شبكة معقدة، ويتبادلان رسائل مشتركة على شكل إشارات كهربائية، ويؤكد بعض العلماء أن القلب والدماغ يعملان بتناسق وتناغم عجيبيين ولو حدث أي خلل في هذا التناغم لظهرت بعض الاضطرابات على الفور. ومع كل نبضة للقلب، يتم إرسال موجة من المعلومات إلى الدماغ عبر الحقل الكهرومغناطيسي والهرمونات، والضغط وكذا عبر النبضات العصبية التي تنتقل عبر العصب الميهم، والأعصاب في العمود الفقري من القلب لتصل إلى الدماغ في منطقة تسمى "النخاع" عند قاعدة الدماغ. هذه الإشارات التي يرسلها القلب إلى الدماغ لها تأثير تنظيمي على الجهاز العصبي والأوعية الدموية، وعلى الأجهزة والغدد الأخرى. كما أثبت العلم أن الرسائل المنبعثة من القلب إلى الدماغ تؤثر على الجزء العلوي من الدماغ الذي يتحكم في تفكيرنا ومهاراتنا والقدرة على التحليل واتخاذ القرارات. لقد أدرك العلماء أن العلاقة ديناميكية ثنائية الاتجاه وأن القلب والدماغ كلاهما يؤثر في الآخر. ولكن القلب يرسل معلومات إلى الدماغ أكثر مما يرسله الدماغ إلى القلب. وذكر الباحثون أربعة وسائل يتواصل القلب بها مع الدماغ:

1- عصبيا من خلال النبضات العصبية.

2- كيميائيا بواسطة الهرمونات.

3- فيزيائيا عبر موجات الضغط.

4- مغناطيسيا عبر المجال الكهرومغناطيسي.

وجود هذه القنوات الأربعة التي تربط القلب بمختلف مراكز المخ العليا يفسر كيف أن المعلومات الواردة من القلب تؤثر بشكل مستمر على تصوراتنا وعواطفنا ووعينا، فضلا عن أدائنا لمختلف النشاطات. البحوث العلمية القائمة الآن توضح أن الإشارات العصبية والكيميائية والفيزيائية والكهرومغناطيسية التي يرسلها القلب إلى الدماغ وإلى باقي أعضاء الجسم لها تأثيرات جذرية على العمليات الفسيولوجية والعقلية والعاطفية لدينا. ولكن كيف يمكننا فك شفرة هذه الإشارات وهل هناك وسيلة علمية للكشف عنها أو قياس محتواها، وكيف تؤثر هذه الرسائل على وعينا في كل لحظة؟ للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها يجب أن يبذل العلماء والباحثون مجهودا أكبر كما يجب أن يشككون فيما هو قائم.

2- الاتصال العصبي

تتم ترجمة المعلومات إلى نبضات عصبية بواسطة النظام العصبي الموجود في القلب ويتم إرسالها إلى الدماغ بواسطة مسارات مختلفة، هذه النبضات العصبية تصل إلى نخاع الموجود في جذع الدماغ والذي يتحكم في العديد من الأوعية الدموية، والغدد والأعضاء. ثم تتجه هذه النبضات إلى مراكز أعلى في الدماغ والتي لها نفوذ على الإدراك، واتخاذ القرارات والعمليات المعرفية الأخرى وذلك عن طريق الألياف العصبية الموجودة في العمود

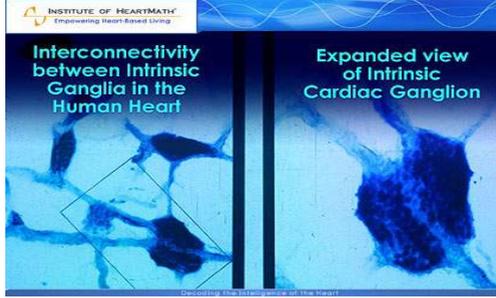
الفصل الثاني: اتصالات القلب مع الدماغ

الفقري. ويرسل القلب عن طريق انتقال النبضات العصبية من المعلومات إلى الدماغ أكثر مما يستقبل منه، وهو العضو الوحيد من الجسم الذي يمكنه أن يمنع أو ينشط أجزاء معينة من الدماغ تبعاً للظروف وهذا يعني أن القلب يمكن أن يؤثر على الطريقة التي نفكر بها وعلى تصورنا للواقع، وبالتالي ردود الفعل لدينا.

يؤكد الدكتور آر مور الذي يبحث في علاقة المخ والأعصاب بالقلب، في العديد من أبحاثه بوجود علاقة اتصال ديناميكية بين القلب والدماغ من خلال الجهاز العصبي وهي علاقة تحاورية ثنائية يؤثر فيها كل واحد منهما على الآخر عبر «مخ القلب»، الذي يعمل بدقة فائقة على تنظيم معدل ضربات القلب وإفراز الهرمونات وتخزين المعلومات القادمة إليه من مختلف أنحاء الجسم ثم تتدفق هذه المعلومات من القلب إلى ساق الدماغ لتدخل إلى الدماغ عبر ممرات خاصة، وتقوم بتوجيه خلايا الدماغ لتمكين من الفهم والاستيعاب.



الرسم 11: التواصل عبر الخلايا العصبية



الرسم 12: الخلايا العصبية في القلب [6]

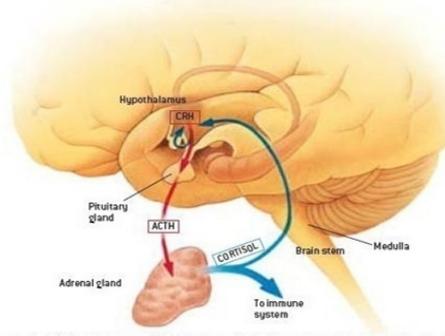
تظهر هذه الصور الخلايا العصبية داخل القلب، وهي خلايا معقدة جداً لم يعرف العلماء حتى الآن طريقة عملها، ويعتقد أنها هي المسؤولة عن تخزين المعلومات وتحميلها لخلايا الدم وبثها لكافة أنحاء الجسم، وبالتالي فهي أشبه بذاكرة الكمبيوتر التي لا يعمل بدونها.

3- الاتصال الكيميائي

يتواصل القلب أيضاً مع الدماغ وبقية أعضاء الجسم عن طريق الهرمونات. وهي مواد كيميائية تنتج في جهاز من أجهزة الجسم أو جزء منه ومن ثم يتم حملها عبر الدم إلى جهاز آخر أو أنسجة معينة حيث يكون لها تأثير محدد. وفي عام 1983، تم تصنيف القلب في النظام الهرموني عندما اكتشف هرمون قوي ينتج ويفرز من ثقب في الأذين سمي الببتيد الأذيني المدر للصدوديوم، يعمل هذا الهرمون كموسع قوي للأوعية الدموية. وهو مسؤول عن اتزان ماء الجسم، والصدوديوم والبوتاسيوم والدهون. يفرز هذا الهرمون من قبل الخلايا العضلية الموجودة في الأذين استجابة لارتفاع

الفصل الثاني: اتصالات القلب مع الدماغ

ضغط الدم. ويؤثر في الكلى والغدة الكظرية وعدد كبير من المناطق التنظيمية من الدماغ، وهو يخفض الضغط الدموي، ويلعب دورا كبيرا في توازن الجسم، ويلقب بالموازن الهرموني. بالإضافة إلى ذلك، تشير الدراسات إلى أن الببتيد الأذيني يثبط إفراز هرمونات التوتر، ويمكن أن يتفاعل مع الجهاز المناعي. كما أنه يؤثر في السلوك والدوافع وفقا لبعض التجارب. كما يقوم القلب بإفراز الدوبامين وهو من الجزيئات الكيميائية المعروفة بالتأثير على العواطف في الدماغ. والكورتيزول وهو هرمون منشط ينظم ضغط الدم ووظيفة القلب وجهاز المناعة، كما يسيطر على استعمال الجسم للبروتين والكربوهيدرات والدهون نتيجة لزيادة الضغوط سواء البدنية مثل المرض أو الصدمة، ويزيد إنتاج هرمون الكورتيزول كرد فعل طبيعي وضروري في الجسم إذا بقيت مستويات التوتر عالية لفترة زمنية طويلة. الرسم التالي يوضح الآلية التي يعمل بها الكورتيزول:



الرسم 13: الآلية التي يعمل بها الكورتيزول

وجدت الدكتورورة كاندس بيرت^[7] أن كل خلية في الجسم تتبادل الرسائل مع المخ بواسطة أحماض أمينية قصيرة السلسلة كان يعتقد سابقا أنها تنتج فقط في الدماغ لكن الدكتورورة بيرت اثبتت وجودها كذلك في القلب. ومع أنه لم يتم حتى الآن دراسة الدور الأساسي لهذه الهرمونات المنتجة في القلب إلا أن بعض العلماء يعتقد أن مجرد إنتاجها في القلب يعتبر برهاناً على أن للقلب تأثيراً مباشراً في العواطف.

4- الاتصال الفيزيائي

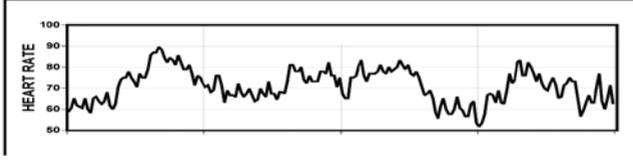
مع كل نبضة يولد القلب موجة ضغط قوية جدا من الدم تتدفق بسرعة عبر الشرايين وهي أسرع بكثير من الدم نفسه ويوجد ارتباط معقد جدا بين هذه الموجات والتنفس وإيقاعات الجهاز العصبي اللاإرادي وبالخصوص عمل الدماغ. ولأن هذه الأمواج تتغير حسب النشاط الإيقاعي للقلب فهذا يخلق طريقة للاتصال بين القلب وباقي أعضاء الجسم بدءا بالشرايين والغدد. وحتى الخلايا تشعر بموجات الضغط التي يولدها القلب وتعتمد عليها في العديد من النواحي وكذلك جميع أجهزة الجسم بما في ذلك الدماغ. وقد أظهرت التجارب أن موجات الضغط هي الطريقة الفيزيائية الحيوية التي يستخدمها القلب للتواصل مع الدماغ والتأثير على نشاطه. وقام الباحثون بقياس الوقت الذي تستغرقه موجة ضغط الدم لتصل إلى الدماغ مع قياس نشاط الدماغ وكان واضحا مدى التغييرات في النشاط الكهربائي للدماغ عندما تصل موجة ضغط الدم إليه.

الدكتور مجد كم الباز^[8] مدير المعهد العالمي للتنمية الاجتماعية والنفسية بالخليج، يقول: "إن علم النفس يدرس هذا الكائن الإنساني من زوايا مختلفة، أولاً من الناحية الفسيولوجية ثم من الناحية الفكرية والعقلية، وكان التركيز دائماً على الدماغ وعلى أنه هو المسيطر وهو الذي يرسل المعلومات أما الآن فهناك محور جديد وهو القلب وأثره الكبير على النسق الدماغي، بالإضافة إلى دقات القلب العادية هناك ما يسمى بالاختلاف بين النبضتين، فكل ما زاد هذا الاختلاف كل ما كان هناك ليون في هذا القلب وهذه العضلة وكان الأثر واضحاً على الدماغ وعلى النسق الدماغي وعلى سائر الجملة العصبية، إذن الاختلاف في دقات القلب يؤثر على المسار الدماغي والأفكار الذهنية وبالتالي يحصل للإنسان تشتت ذهني فلا يستطيع أن يركز على موضوع معين، وإذا استطاع أن يتحكم في النبضات أو التغيرات في نبضات القلب تكون له القدرة الأكبر على التحكم في سير الدماغ وكل الغدد الموجودة في الدماغ والتي تؤثر على الجملة العصبية المركزية، وبالتالي يحسن من وظائف الجملة العصبية التي تعين الإنسان على الهدئة فتؤثر على الجملة الذاتية والشعور بالراحة والاطمئنان". كما وجدت أحدث الدراسات أن هذا التغير يؤثر على المنطقة العليا من الدماغ وهي مركز التحليل والتفكير الذهني لذا تكون عند الإنسان طاقة صحية أكبر وقدرة على التركيز والتحسين في الأداء والتكامل من الناحية الفسيولوجية. هذا النسق في تغيير دقات القلب يؤثر كذلك على العاطفة

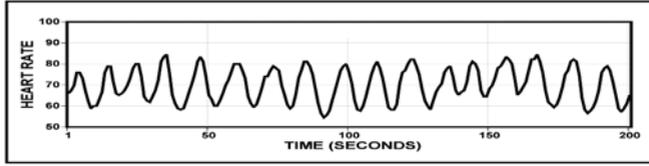
والتصور عند الإنسان وعلى الاستجابة الفيسيولوجية العامة والوظائف المختلفة وحتى الخلايا لأن نبضات القلب تمثل 40 إلى 60% من الكهرباء التي تأتي من القلب والتي لها تأثير على خلايا الجسم وعلى التنفس.

ذكر الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن آل عبد القادر^[9] مدير مركز الأمير سلطان للقلب في الأحساء بالمملكة العربية السعودية في إحدى محاضراته أنه من الناحية الفيزيائية الحيوية ينتج القلب مع كل انقباضه كمية من التيار الكهربائي تبلغ جميع أطراف الجسد قبل وصول الدم لها، وأكد أن نبض القلب في حال الطمأنينة يؤثر على الصفاء الذهني والقدرة على صناعة القرارات وانسجام عمل الأعضاء، ويبعث كمية ضخمة من الرسائل تفوق ما يرسله الدماغ للقلب، وتتركز رسائل القلب للدماغ في مراكز التخطيط الاستراتيجي وسرعة الاستجابة والتنظيم الذاتي".

وفي سنة 2013 قمت بزيارة لمعهد رياضيات القلب أهداني مشكورا جهاز من اختراع وتصميم علماء يشتغلون ليلا ونهارا في المعهد من أجل إطلاع البشرية على قدرات القلب. هذا الجهاز يدعي emWave ويمكن من رؤية التمثيل البياني لإيقاعات القلب خلال مختلف الانفعالات التي نشعر بها. فالمشاعر السلبية كالغضب، والخيبة ترتبط بإيقاعات قلبية مضطربة وغير منتظمة كما هو في الرسم 14 وعلى العكس من ذلك تقترن المشاعر الإيجابية كالحب أو الإعجاب بأنماط إيقاعات للقلب منتظمة ومتناغمة كما هو مبين في الرسم 15



الرسم 14: إيقاعات قلبية مضطربة وغير منتظمة

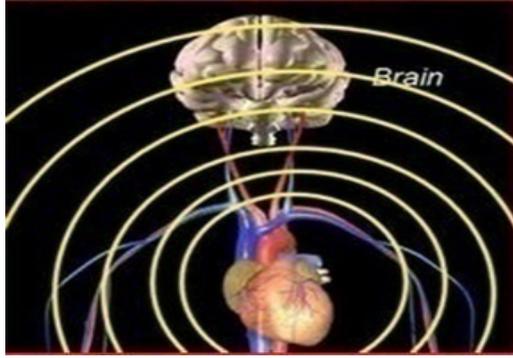


الرسم 15: إيقاعات قلبية منتظمة ومتناغمة

5- الاتصال الكهرومغناطيسي

صدرت دراسة عن معهد رياضيات القلب، جاء فيها أن للقلب شبكة اتصالات كثيفة تربطه بالدماغ والجسد، ويطلق المعلومات عبر أقوى مجال كهرومغناطيسي في الجسد ينفذ إلى كل خلية من خلايا الجسم، وكشفت هذه الدراسة أن المجال الكهربائي للقلب أقوى 60 مرة من المجال الكهربائي للدماغ وأن المجال المغناطيسي للقلب أقوى 5000 مرة من المجال المغناطيسي للدماغ وأن المعلومات المتعلقة بالوضع العاطفي للشخص تنتقل عبر المجال الكهرومغناطيسي للقلب. وتؤثر على الدماغ وتوجهه في عمله، وأنه من الممكن أن يؤثر القلب على عملية الإدراك والفهم لدى الإنسان. فخلال مختلف الانفعالات التي نشعر بها سلبية كانت أو إيجابية

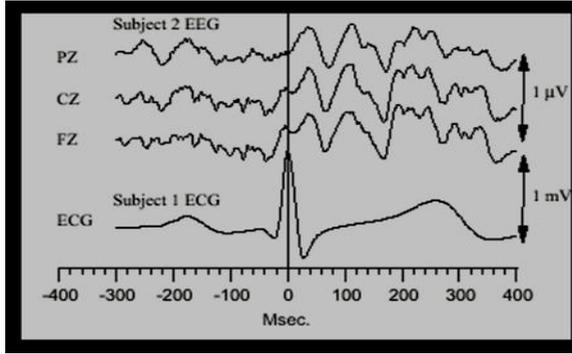
تحدث تغيرات في أنماط إيقاعات القلب وتغيرات متجاوبة مع تكوين المجال الكهرومغناطيسي الذي يبثه ويمكن قياسه بتقنيات التحليل الطيفي.



الرسم 16: التأثير المغناطيسي للقلب على الدماغ^[10]

يقول كاري اشورتز^[11] الأستاذ في علم النفس التحليلي في جامعة كيل بأريزونا: "من المهم جدا أن نفهم العلاقة بين القلب والدماغ لأن هذا يساعدنا في النهاية على فهم الطريقة التي استطاع بها القلب تخزين ذكريات ذات صلة بالدماغ فالقلب والدماغ يتواصلان عن طريق مصادر متعددة لتبادل المعلومات فهناك اتصال عصبي من الدماغ إلى القلب وهناك اتصال عضدي أيضا فالهرمونات ستفتح الدماغ على القلب والقلب بدوره يعيد إرسال التغذية الراجعة إلى الدماغ من خلال الأعضاء الحساسة للضغط ومن خلال الدم العائد، ولكن ما لا يدرك غالبا هو أن القلب هو المورد الأكبر للإشارات المغناطيسية في الجسم، وتخرج الإشارة الكهربائية من القلب لتنتقل خلال الدورة الدموية لتصل إلى الدماغ وبالطبع تنتقل إشارة

الدماغ الكهربائية عائدة إلى القلب لذا فإن هاتين الإشارتين تتشاركان في تفاعلاتها حتى أنها تتشارك كهرومغناطيسيا مع بعضها. كما وجد أيضا أن دقات القلب تؤثر على الموجات التي يبثها الدماغ (موجات ألفا)، فكلما زاد عدد دقات القلب زادت الترددات التي يبثها الدماغ. فإذا نظرنا إلى الرسم التالي نشاهد ذبذبات الدماغ وكيف أنها تتأثر بذبذبات القلب:

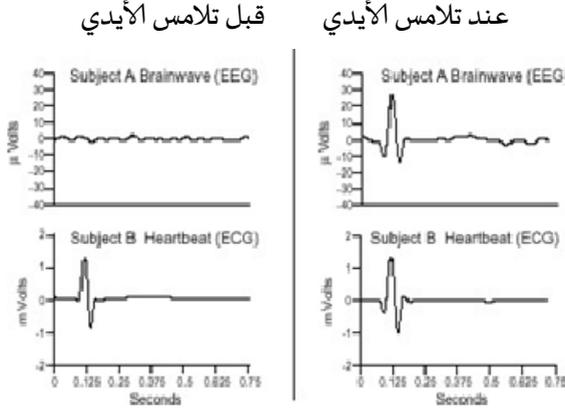


الرسم 17: تغير ذبذبات الدماغ تبعاً لذبذبات القلب [12]

المنحني الأسفل يمثل ضربات القلب، والمنحنيات الثلاثة فوقه تمثل رد فعل الدماغ وكيف تتأثر تردداته بحالة القلب.

من جهة أخرى تؤكد التجارب التي قام بها معهد رياضيات القلب على أنه عندما تقترب من إنسان آخر أو تلامسه أو تتحدث معه، فإن التغيرات الحاصلة في نظام دقات القلب لديك، تنعكس على نشاطه الدماغي!! أي أن قلبك يؤثر على دماغ من هو أمامك. فقد أجريت تجربة لدراسة لحظة تلامس شخصان أو عندما يأتيان بالقرب من بعضهما وكيف يؤثر قلب

أحدهما في موجات مخ الآخر وقاس العلماء مدي وقوة ذلك التأثير فوجد
البيان التالي:



الرسم 18: تواصل القلب مع الدماغ عبر المجال الكهربائي [13]

في الجهة اليمنى من الصورة عندما امسك الشخصان بيدي بعضهما حدث انتقال للطاقة الكهربائية من قلب الشخص "B" إلى مخ الشخص "A" والتي أمكن التقاطها في رسم مخه.

يؤكد الدكتور عبد الله آل عبد القادر مدير مركز الأمير سلطان للقلب: إنه من الناحية الكهرومغناطيسية ينتج القلب هالة ضخمة نابضة مع كل نبضة قلبية من (6-12 قدما)، وسحابة ضخمة من الترددات تحمل الرسائل لمجالات الطاقة الأخرى بدءاً بالقلوب المحيطة وانتهاءً باللانهاية، مشيراً إلى أن القلب وسيط للتأثر والتأثير مع المجال الكهرومغناطيسي الضخم للكواكب في المجرة. وهو المولد الأكبر للطاقة في الجسم وهناك مراكز ونقاط

بالولايات المتحدة الأمريكية وجنوب إفريقيا والسعودية وكذلك بأوروبا لقياس هذا التأثير والارتباط بين مجال القلب المغناطيسي والحقل الكهرومغناطيسي للأرض. ودلت الاختبارات القائمة على أن المعلومات المتصلة بالوضع العاطفي تزيد في وعي الشخص بالآخرين المحيطين به وشعوره بهم. وبينت التجارب أن التواصل الاجتماعي بين الناس لا يقتصر على تبادل الإشارات اللغوية والصوتية، أو الإيماءات وتعبير الوجه والحركات الجسدية فقط بل هناك نظام اتصالات رائع ومؤثر وفَعَال يعمل تحت مدركاتنا الواعية. وقد يساهم هذا التفاعل الفعال فيما يحدث من تجاذب أو نفور بين الأفراد، ويؤثر أيضاً على التبادل والعلاقات الاجتماعية. وأظهرت هذه التجارب أن مجال القلب يلعب دوراً مهماً في تبادل المعلومات النفسية والجسدية والاجتماعية بين الأفراد، وكذلك بين الجماعات. وخلصت التجارب إلى معرفة أن الجهاز العصبي يعمل كالهوائي، يلتقط ويستجيب للمجالات الكهرومغناطيسية التي تنتجها قلوب الناس الآخرين. كما وجد العلماء أن لكل قلب بصمة خاصة به، فلا يوجد قلبان متشابهان أبداً، فكل قلب له تركيب خاص ومميز عن غيره، وفي داخله معلومات تخص صاحب هذا القلب، وتتجلى هذه البصمة من خلال الذبذبات الكهرومغناطيسية التي يبثها القلب فهي تختلف من شخص لآخر. كل هذا يعني أنه إذا دخل أحدهم إلى المجال الكهرومغناطيسي لقلبك يحدث نوع من التواصل بين قلوبكما من غير أن تشعر مما يجعلك تتذكره وتبدأ في الحديث عنه أو التفكير فيه وغالبا إذا به يقدم عليك بدون سابق إنذار.

6- مقارنة بين عمل القلب وكيفية عمل الكمبيوتر

يتألف الكمبيوتر بالإضافة إلى المدخلات والمخرجات، من معالج دقيق (ميكرو بروسسر) وذاكرة حية وأخرى تسمى الذاكرة الميتة ومن قرص صلب تخزن فيه المعلومات بصفة دائمة. يقوم المعالج الدقيق بتحميل البيانات التي يستعملها المستخدم بصفة مؤقتة مثل نظام التشغيل والبرامج المفتوحة في الذاكرة الحية. فعند فتح كتاب باستعمال برنامج وورد مثلا يقوم المعالج الدقيق بتحميل البيانات الضرورية لعمل البرنامج ونسخة من الكتاب في الذاكرة الحية وبالتالي فإن جميع التعديلات التي يقوم بها المستخدم تقع في هذه النسخة المخزنة في الذاكرة الحية وعند الانتهاء من العمل يقوم المعالج الدقيق بحفظ النسخة الجديدة على القرص الصلب. وهذا من أجل ألا يحتاج للتواصل مع القرص الصلب بصفة دائمة لما في ذلك من ضياع للوقت فقد يأخذ التواصل مع القرص الصلب عدة ثواني ولذا فكلما زادت سعة الذاكرة الحية كان بإمكان المعالج الدقيق تحميل كمية أكبر من البيانات بشكل مؤقت ومعالجتها والاستفادة منها. كل هذه الآلية شبيهة بما يحدث بين القلب والدماغ من تبادل للمعلومات فالدماغ يحتفظ بالمعلومات بصفة دائمة أما القلب فيقوم بتحميل المعلومات المهمة في دماغه الصغير والتي تمكن الإنسان من إنجاز عمل ما واتخاذ القرارات في كل لحظة من حياته. ثم بعد ذلك تتم إعادة هذه المعلومات إلى الدماغ لتخزينها والاستفادة منها لاحقا. وبالتالي القلب يلعب دورا متعددًا فهو

المعالج الدقيق ويحوي ذاكرة حية كما له ذاكرة أخرى خاصة يخزن فيها المعلومات التي يرتبط بها الإنسان بصفة دائمة لذا جميع ما يقوم به الإنسان يمر أولاً على القلب الذي يعطي الأوامر للدماغ وهذا الأخير يوزع المهام على الجوارح الأخرى.

الفصل الثالث: قدرات القلب

1- تعريف

تؤكد أبحاث عديدة أن القلب، خلافاً لما يُعتقدُ، ليس مجرد مضخة، بل هو نظام بالغ التعقيد، وكشفت فروع طبية جديدة مختصة بأعصاب القلب أن له جهازاً حسيًا، ومركزاً نشطاً لاستقبال ومعالجة المعلومات. وأن النظام العصبي للقلب، يتيح له التعلم، والتذكر، واتخاذ قرارات وظيفية مستقلة عن الشبكة العصبية للدماغ. كما أن الإشارات التي يبثها القلب باستمرار إلى الدماغ تؤثر على عمل مراكز الدماغ العليا المسؤولة عن عمليات الإدراك، والتعلم ومعالجة المعلومات، ولذا فإن إيقاع الدماغ يتزامن مع حركة إيقاع القلب، وكذلك المشاعر والعواطف وضغط الدم، وإيقاع التنفس، كلها تتوافق ونبض القلب.

2- القلب ملك الأعضاء

يقول الدكتور عبد الله آل عبد القادر مدير مركز الأحساء: " بعد رحلة طويلة من البحث والنقاش مع المراكز العلمية والعلماء المعنيين وهم قلة، بزغ لنا فجر جديد فيما يخص وظائف القلب البشري، أهلتنا للإعلان عن انعقاد المؤتمر العالمي الثاني لعلوم طب القلب المتقدمة (القلب ملك الأعضاء 2008م)، والذي كونه القواعد الأساسية التي انطلق عليها بعد عامين آخرين، المؤتمر العالمي الثالث لعلوم طب القلب المتقدمة (القلب ملك الأعضاء 2010م) والذي انعقد بوجود ثلة من العلماء هم الأبرز في

مجالاتهم عالمياً، وأخص بالذكر فيما يتعلق بهذا الأمر، كبير علماء معهد رياضيات القلب الأمريكي الدكتور " رولين مكارتي"، والمدير التنفيذي لمعهد التوتر العصبي الأمريكي الدكتور " بول روش"، ومؤسس علم أحياء الزمن في تاريخ الطب وأول من وضع أسس ربط الدورة الدموية بالانفجارات الكونية الدكتور " فرانزهاالبرغ" والعالمة "جيرمينكورنلسن"، وغيرهم ممن أثروا هذا المؤتمر الهام جداً بعلومهم الغزيرة وبحوثهم الرائعة عن القلب وأهميته ومكانته الرفيعة بين الأعضاء، لافتاً إلى أن المؤتمر خلص في النهاية إلى الاتفاق على المكانة الكبرى للقلب البشري". وقد بينت مدربة معهد رياضيات القلب الأمريكي شيماء بنت عبد الله آل عبد القادر في هذا المؤتمر (القلب ملك الأعضاء 2010م) أن ورشة العمل التي شهدتها المؤتمر وجاء محورها "رياضيات القلب" هدفت إلى الرفع من مستوى الثقافة في كيفية اتخاذ القرارات، وزيادة القدرة على تجنب الضغوط بشتى أنواعها، وهي تعتمد بشكل كبير على مجالات الطاقة البشرية، وحول كيفية تأثير المجالات المغناطيسية للقلب في محيطه البشري، بالإضافة إلى تحسين مستوى التفكير والذكاء الذهني. وحول ماهية رياضيات القلب أوضحت المدربة أن هذا العلم يعتمد في أساسه على قياسات علمية للقلب، والتعامل مع القلب على أسس حسابات رياضية بعيداً عن الروحانيات.

3- ذاكرة القلب

كما بينا سابقاً يؤكد العلماء أن لدى القلب جهازاً عصبياً معقداً جداً ككل أنواع الخلايا الدماغية وهو عبارة عن شبكة مكونة من عدة أنواع من

الخلايا العصبية والبروتينات وخلايا للدعم يعود اكتشافه للدكتور آر مور الذي أثبت أن مخ القلب له نفس أنواع الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ، وبواسطتها يستطيع القلب أن يتعلم ويتذكر، بل وحتى يشعر، فهو دماغ صغير ووظيفي موجود بالقلب وهو يعمل بشكل مستقل عن النظام العصبي الموجود في الدماغ.

يقول الدكتور آر مور: "لقد تغيرت تصوراتنا التقليدية عن الدماغ والتفكير فلدَى القلب خلايا تشبه خلايا الدماغ وله ذاكرة طويلة وقصيرة الأمد تستخدم نفس التقنيات التي يستخدمها الدماغ كما أن لديه نوعه الخاص من التفكير".

كما أثبت الدكتور مايكل رزن أستاذ الصيدلة وزملاؤه بعد مضي خمس سنوات من الدراسة والتحقيق أن القلب كالدماغ له خلايا لادخار المعلومات وقد طبعت هذه النظرية العلمية الهامة في مقال بعنوان "دراسة ذاكرة القلب"^[14].

وفي لقاء لي أجرته مع الدكتور مكارتي الشهر الخامس من سنة 2013 في قسم البحوث التابع لمعهد رياضيات القلب بكاليفورنيا أوضح أن الذاكرة تعمل بشكل موزع على الجهاز العصبي وقال بأن هذا معروف منذ مئات السنين ولا يمكن أن تتمركز الذاكرة في خلية عصبية أو مجموعة خلايا عصبية بل تتوزع الذاكرة خلال الجهاز العصبي كله. وتساءل لماذا يتوجب علينا أن نقول دائما بأن الذاكرة موزعة بين الرأس والرقبة ولماذا لا تكون موزعة خلال الجهاز العصبي كله، ويقول مكارتي: «عندما تنقل قلب

شخص إلى شخص ما فإنه يسترجع بعض الذكريات التي وزعت خلال الجهاز العصبي كله وهذا يعني أن الذاكرة ليست في الدماغ بل هي في جميع الجسم والقلب هو الذي يحركها ويشرف عليها".

ولفهم المعرفة بواسطة القلب جيدا نورد هنا وباختصار نظرية التعلم عن طريق التغذية الراجعة ونظرية الذاكرة الخلوية:

1-3 التعلم عن طريق التغذية الراجعة

يقول اشوارتز: "عندما نتحدث عن كيفية تعلم الدماغ فإننا نتكلم عما يسمى بالشبكات العصبية في الدماغ وقد اتضح بأن ما يمر في هذه الخلايا العصبية يخرج ويعود ليدخل فيها من جديد وتستمر هذه العملية وتكرر ثانية وهذا ما يسمى بالتغذية الراجعة وطالما أنها قائمة فسوف تتعلم الخلايا العصبية وإذا ما قطعت فسوف يتوقف التعلم فيها لذا من الضروري أن يكون هناك تغذية راجعة لدى الخلايا العصبية كي تحدث عملية التعلم، مثلا نحن نتعلم كيف نصوب الكرات في السلة عن طريق التغذية الراجعة التي تخبرنا إذا كنا دقيقين أم لا، ونتيجة لذلك فإن أي نظام أو أي مجموعة خلايا لديها آليات تغذية راجعة في الشبكة سوف تتعلم بنفس الطريقة التي تعلمت بها الخلايا العصبية". فكما ينشط المخ بمراكز ذاكرته وحسه بواسطة التغذية الراجعة عبر كل من الشبكات العصبية والدموية، فكذلك القلب الذي يعمل كجهاز تخزين للمعلومات عن طريق التغذية الراجعة عبر كل من الأعصاب والدم وذلك للتشابه القائم بين خلايا الدماغ العصبية وخلايا القلب كما أثبت الدكتور آرمور إذ

يؤكد أن الخلايا العصبية التي اكتشفت مؤخرا في القلب تشبه تماما نظائرها في المخ. إذن حركة الدم ووجود جهاز عصبي في القلب كل هذا يجعل من القلب عضو يخزن ويتذكر المعلومات عبر نظام التغذية الراجعة الحيوية فإذا ما تمت زراعته لإنسان آخر فإنه يستعيد نفس الذكريات ولكن بشكل مهم. وهذا ما لاحظته العلماء من عوارض لدي مرضى زراعة القلب بحيث أن المتلقي للقلب الجديد تتغير بعض سلوكياته وتطابق في أغلبها سلوكيات الواهب ويرى الدكتور اشوارتز أن التفسير المقبول لهذه الظاهرة هو أنه يوجد في داخل خلايا قلب الإنسان برامج خاصة للذاكرة يتم فيها تخزين جميع الأحداث التي تمر بالإنسان، وتقوم هذه البرامج بإرسال هذه المعلومات إلى الدماغ ليقوم بمعالجتها وبالتالي فإن الذاكرة ليست فقط في الدماغ بل قد يكون القلب محركا لها ومشرفاً عليها.

2-3 الذاكرة الخلوية

علماء من جامعة أريزونا بالإضافة إلى بعض الباحثين مثل الدكتورة ليندا راسك يعتقدون أن الذاكرة مخزنة في كل خلية من خلايا الجسد، وهذا يظهر جليا عندما يتم نقل عضو من شخص لآخر، وتعرف الذاكرة الخلوية بظاهرة احتفاظ خلايا أجسامنا بمعلومات عن شخصيتنا، أذواقنا، وتاريخنا وقد ثبت وجود هذه الظاهرة في الأشخاص الذين خضعوا لعمليات زراعة القلب.

الباحثة كاندسي بيرت أستاذة علم الكيمياء الحيوية والمتخصصة بعلم الأعصاب والتي درست التفاعلات البيوكيماوية، لاحظت بأن الدماغ وبقية

أجزاء الجسم تبعث رسائل لبعضها خلال أحماض أمينية تسمى الببتيدات العصبية neuropeptides وكان يعتقد بوجود هذه المستقبلات فقط في الدماغ، ولكن ثبت وجود هذه الأحماض الامينية في مناطق عديدة من الجسم خاصة في الأعضاء الكبيرة مثل القلب وكانت نتائج كاندسي بيرت مساندة لهذه النظرية التي تبنتها مجموعة من الباحثين والتي تقول بأن كل خلية لها عقلها الخاص بها. وأنه إذا ما نقل نسيج من جسم إنسان لإنسان آخر فإن هذا النسيج سوف ينقل هذه الذاكرة إلى الجسم الآخر. وقد تعمق بعض الأطباء والعلماء في بحث ودارسة هذه الفكرة إلى أن خرجوا بعدة نظريات لتفسير هذه الظاهرة ومنهم الدكتور آرمر الذي ألف كتاباً أسماه أعصاب القلب يصف فيه الجهاز العصبي الخاص بالقلب والذي يعمل بشكل مستقل عن الدماغ وقد أوضح فيه أن للخلايا العصبية الموجودة في الدماغ الصغير للقلب ذاكرة طويلة وقصيرة الأمد تستخدم نوع التقنيات نفسها التي يستخدمها الدماغ، في تمرير وتخزين المعلومات في الخلايا العصبية لمدة قصيرة والتي هي الذكريات الموجودة في القلب. لذا يعتقد هذا العالم أنه عندما يتم نقل القلب من شخص إلى آخر، يتصل الجهاز العصبي للقلب المنقول بالجهاز العصبي المركزي للشخص المتلقي عن طريق الألياف والموصلات العصبية وأن الخلايا العصبية الذاتية في القلب المنقول تستعيد عملها وترسل إشارات من ذاكرتها القديمة إلى الدماغ في الشخص الجديد.

3-3 مرض قصور القلب وتأثيره على الذاكرة

ذهبت دراسة أمريكية حديثة إلى أن المرضى بقصور القلب من كبار السن يعانون مشاكل أكبر في الذاكرة كلما ساءت حالة القلب، وحسب ما أكدت الباحثة جوان فيستا من مستشفى روزفلت بنيويورك أنه كلما تقدم الشخص في السن، زاد الضمور في المخ. وربما تسارع هذا الضمور في المخ مع الإصابة بقصور القلب. وتلعب الذاكرة دوراً في كيفية تعاملنا مع مشاكل القلب، مثل تذكر تناول العلاج في وقته، والحفاظ على زيارة الطبيب، أو حتى تذكر الأعراض التي تمر بالقلب، وعندما يحدث تراجع في الذاكرة نتيجة الإصابة بقصور القلب، فإن المشكلة تبدأ ببطء لا يمكن ملاحظته إلى غاية حدوث تطور سلبي في حالة القلب. قامت الباحثة جوان فيستا بتجميع بيانات من اختبارات الذاكرة لـ 217 من مرضى قصور القلب لمعرفة من منهم مؤهل للخضوع لجراحة زراعة القلب. وقام فريق البحث بتقسيم هؤلاء إلى مجموعتين؛ الأولى تشكل 189 شخصاً ممن سجلوا نتائج منخفضة في اختبارات وظائف القلب، والثانية مكونة من 28 ممن حققوا نتائج أفضل. وكان جميع المرضى يعانون من قصور بالقلب وفق قياس كميات الدم التي يتم ضخها من البطين الأيسر بالقلب. وتبين أن المرضى الذين هم في أعمار أصغر من 63 عاماً، سجلوا نفس النتائج في اختبارات الذاكرة بصرف النظر عن وظائف البطين الأيسر. إلا أنه في المرضى الأكبر سناً ارتبط ضعف ضخ الدم في البطين الأيسر بتسجيل نتائج أقل في اختبارات الذاكرة بنسبة 1% خاصة تلك التي تقيس مدى قدرتهم على

التعرف على الكلمات وتذكرها. كما أوضحت الباحثة أن هؤلاء الأشخاص يتعلمون بنفس المعدل، ولكن قدرتهم على الاحتفاظ بالمعلومة تقل عند مرضى قصور القلب. وفي المرضى الأصغر سناً، ربما يستطيع المخ تعويض انخفاض تدفق الدم الناتج عن قصور القلب، وهو الأمر الذي لا يتحقق مع المرضى من كبار السن، حيث يعاني المخ أكثر من انعكاسات مشاكل القلب. كما لاحظ الباحثون كذلك ارتباط ضعف الذاكرة بأعراض الإحباط ومشاكل الانتباه.

نشر حديثاً في ملخص لدراسة Whitehall II study -نوقشت في اجتماع الجمعية الأمريكية للمخ والأعصاب- أنه في منتصف العمر (الخمسينات) كلما زادت مخاطر أمراض القلب لدى المريض زادت سرعة ضعف الذاكرة لديه مع التقدم في العمر. وأجريت الدراسة على حوالي 4500 شخص طبيعى تمت متابعتهم وقياس مخاطر الإصابة بأمراض القلب لديهم وتم قياس دقة الذاكرة كل خمس سنوات وتسجيل مقدار التغير مع الوقت فوجدوا أنه كلما زادت معدلات الإصابة بأمراض القلب 10% انخفضت دقة الذاكرة بنسبة 2.8% وهذا التأثير أكثر سرعة عند النساء منه عند الرجال. وكلما زادت نسبة التحكم في أمراض الضغط والسكري والكوليسترول قلت سرعة تأثر الذاكرة الدماغية بذلك. حيث أن كلا العضوين القلب والدماغ يتأثر كثيراً بأمراض الأوعية الدموية والتي تتأثر بالعوامل التي تزيد من تكلس الشرايين مثل ارتفاع الضغط ومرض السكري وارتفاع الكوليسترول والتدخين.

كما كشفت دراسة أسترالية حديثة وجود صلة بين مرض هبوط القلب وتراجع العمليات العقلية وفقدان المادة السنجابية في المخ. ووجد الباحثون أن مرضى هبوط القلب يواجهون مشاكل أكبر في الذاكرة وسرعة رد الفعل مقارنة بغيرهم. كما أنهم يعانون تغيرات في أجزاء المخ التي يعتقد بأهميتها في الحفاظ على الذاكرة والتفكير والتخطيط، مما يعني أن الأشخاص قد لا يستطيعون تذكر المهام البسيطة مثل تناول دوائهم اليومي في الأوقات المحددة. ويصيب هذا المرض أكثر من 900.000 شخصا ببريطانيا، وتتضمن أعراضه صعوبة في التنفس وإعياءا شديدا وضعفا وتورما بالأرجل والكاحل والقدمين.

وفي دراسة نشرت في جريدة القلب الأوروبية، قام الباحثون بتحليل بيانات 35 شخصا مصابين بمرض هبوط القلب، و56 شخصا يعانون من مشاكل قلب ناتجة عن ضعف تدفق الدم بالإضافة إلى 64 شخصا من الأصحاء كمجموعة مقارنة. جميع أفراد العينة تزيد أعمارهم عن 45 عاما ولا يعانون من أي عطب عقلي معرفي واضح. وقام الخبراء بعمل سلسلة من الاختبارات تضمنت أشعة رنين مغناطيسي لبحث مقدار المادة السنجابية في المخ. وقد أظهرت النتائج أن الأشخاص الذين يعانون من هبوط بالقلب يعانون من مشاكل آنية وبعيدة المدى في الذاكرة وفي سرعة رد الفعل أكثر من الأشخاص الأصحاء، كما أنه يحدث لديهم تغيرات في المخ ترتبط بعملية التطور المعرفي والعاطفي.

ويقول الدكتور أوسفالدو أميدا من جامعة غرب أستراليا الذي عمل على هذه الدراسة "ما وجدناه في هذه الدراسة أن كل أمراض القلب الناتجة عن ضعف تدفق الدم وهبوط القلب ترتبط بفقدان خلايا بعينها في مناطق المخ تعد هامة في تشكيل المشاعر والنشاط العقلي وكذلك الذاكرة والسلوك."

4- القلب والإدراك

يقول الأستاذ بول بيرسال^[15] أستاذ العلوم النفسية وطبيب الأمراض العصبية والقلبية من جامعة هونولولو بهاواي في الولايات المتحدة الأمريكية: "حتى الماضي القريب كان العلم يمجّد الدماغ ولكن مع كل ما نعرفه الآن عن القلب وطاقته الاستثنائية واتصالاته مع الدماغ وخلاياه العصبية وهرموناته ألا يتوجب علينا كعلماء طرح الأسئلة العلمية التالية: هل الدماغ هو العضو الوحيد الذي يدرك الأشياء؟، هل هناك مصدر آخر للتفكير غير الدماغ؟، وهل هناك طريقة أخرى للتفكير ليست بديلة وإنما إضافية؟، وإذا كنا نمجّد الدماغ فقط فلن نكون متفتحين على إمكانية وجود عضو آخر يدرك ويفكر، يضيف الأستاذ بول بيرسال أعتقد بأن القلب أقوى حتى يتواصل مع الدماغ ويؤثر فيه، وربما يتوجب علينا أن ننتبه لذلك. وأنا متأكد من أن طاقة القلب وعلاقته مع الدماغ هما المفتاح. فالقلب بالارتكاز على العلم الحديث عضو ذو حس وتفكير وشعور ويرسل ذبذبات تمكنه من التفاهم مع القلوب الأخرى، ويساعد على تنظيم مناعة الجسم، ويحتوي على معلومات يرسلها إلى كل أنحاء الجسم مع كل نبضة

من نبضاته كما يحتفظ ببعضها في ذاكرته الخاصة. إن القلب بإيقاعه المنتظم يتحكم بإيقاع الجسد كاملاً فهو وسيلة الربط بين كل خلية من خلايا الجسم من خلال عمله كمضخة للدم، حيث تمر جميع خلايا الدم بالقلب وتحمل المعلومات منه إلى بقية خلايا الجسم، إذن القلب لا يغذي الجسد بالدم النقي فحسب بل يغذيه أيضاً بالمعلومات! وهو العضو الوحيد الذي يتواصل مع خلايا الجسم كلها وهذه الفرضية عن قلب واع ورابط وذو حس هي إحدى الفرضيات التي إذا أثبتت فسوف تغير كل شيء. ويعتبر مرضى زراعة القلب جزءاً من البيانات الدالة على صحة هذه الفرضية وإدراك مرضى زراعة القلب لبعض الحقائق الملفتة فقد بدأت هذه الفرضية تتأكد وتتحول إلى حقيقة "

الدكتور جاك كوبلاند^[16] الأستاذ بجامعة كاليفورنيا في سان دييغو والمعروف بعمله الرائد في زراعة القلب والرئة والذي كتب أكثر من 420 بحثاً عن القلب قدمت في مئات المؤتمرات الوطنية والدولية. يقول: "أنا لا أستبعد أن يكون هناك شيء ما في هذا القلب نجهله تماماً". وهناك الكثير من الأطباء الذين يؤكدون هذه الحقيقة اليوم ولكن ليس لديهم دليل مادي ملموس على ذلك سوى الظواهر التي يشاهدونها أمامهم .

يقول مجدي يعقوب^[17] أستاذ بريطاني من أصل مصري وجراح قلب بارز حول فكرة أن القلب هو مركز العقل والإدراك: "كلما جئت بفكرة جديدة وجريئة فلا بد لها من أن تدحض وإذا لم يستطع العلم والعلماء أن يدحضوها فثمة سر وراء ذلك".

وفي بحث أجراه الباحثان رولين مكارتي وميك آتكينسون وتم عرض نتائجه في عام 1999، جاء فيه أن هناك علاقة بين القلب وعملية الإدراك، وقد أثبت الباحثان هذه العلاقة من خلال قياس النشاط الكهرومغناطيسي للقلب والدماغ أثناء عملية الفهم أي عندما يحاول الإنسان فهم ظاهرة ما، فوجدوا أن عملية الإدراك تتناسب مع أداء القلب، فكلما كان أداء القلب أقل كان الإدراك أقل.

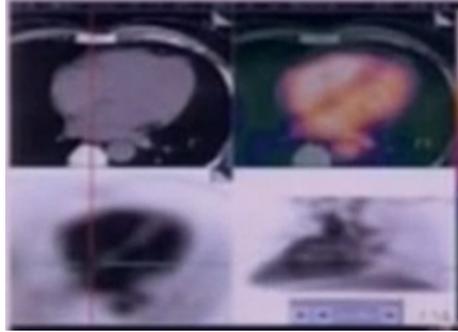
وفي تجربة قام بها معهد رياضيات القلب تم عرض صور اختيرت عشوائياً بواسطة جهاز كمبيوتر لإثارة عواطف شديدة سلبية وإيجابية على فواصل مدتها ستة ثواني، وقد سجلوا ردات فعل الدماغ والقلب للأشخاص الذين تمت إقامة التجربة عليهم.

يقول مكارتي: "لقد وجدنا في هذه التجربة أنه في الفترة الممهدة أي قبل عرض الصورة الضوئية يقوم كل من القلب والدماغ بردة فعل مختلفة حيث أن القلب كان يتصرف بديهياً وبشكل ملفت قبل الدماغ ويقوم بإعداد رد فعل توقعي للصورة قبل ظهورها على الشاشة كما يرسل رسالة للمراكز العاطفية في الدماغ مباشرة ويقوم بعدها الدماغ بإعداد الجسم للتحرك والتفاعل مع الصورة المعروضة". ويعتقد الباحثون في المعهد أن للقلب دوراً مهماً في الإدراك والذاكرة وتخزين المعلومات والتفاعل مع المحيط الخارجي.

اللواء والأستاذ عمر عبد العزيز موسى^[18] نائب رئيس جامعة الرباط بالسودان والذي عمل منذ سنة 1982 على ارتباط العقل بالقلب قام بتجربة في ماليزيا في شهر مايو سنة 2011 تظهر نشاط القلب أثناء النوم

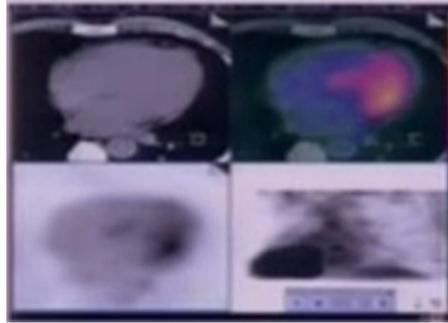
وفي حالة اليقظة وأثبت من خلالها وجود منطقة في الأذنين تنشط أكثر في حالة الإدراك. يقول في مقابلة له مع قناة الشروق في برنامج مقاربات: " في حالة حركة اليدين أو الرجلين يظهر جليا النشاط في عدة مناطق من الدماغ وتستهلك هذه المناطق كمية أكبر من الدم لتوليد الطاقة، ويتم قياس هذه الطاقة وسرعة الدم في هذه المناطق بأجهزة متطورة جدا أما في حالة الإدراك واتخاذ القرارات فلا توجد منطقة بداخل الدماغ تنشط نشاطا بينا، بينما توجد منطقة في القلب تنشط في حالة اليقظة ويختفي هذا النشاط في حالة النوم".

أثبت الأستاذ عمر ذلك من خلال تجربة أجراها على نفسه في جامعة بوترا بماليزيا حيث يوجد جهاز لتصوير سرعة جريان الدم وارتفاع مستوى الطاقة في القلب والدماغ عند إدراك الأشياء وهو جهاز حديث جدا ونادر. ولإجراء هذه التجربة لم يجد الأستاذ عمر من يتبرع بإقامة التجربة عليه وذلك لما تحمله من خطورة وهنا كان لابد من أن يجربها على نفسه فتم حقنه بمادة مشعة ثم بمادة منومة وأدخل إلى هذا الجهاز لمدة ثلاث ساعات تم خلالها فحص وتصوير نشاط المادة المشعة في القلب في حالة النوم كمرحلة أولى ثم مرحلة اليقظة كمرحلة ثانية وتم بعد ذلك مقارنة النتائج وقد أظهرت الصور الملتقطة أن المادة المشعة تتواجد بالقلب من بداية التجربة كما تظهر الصورة التالية:



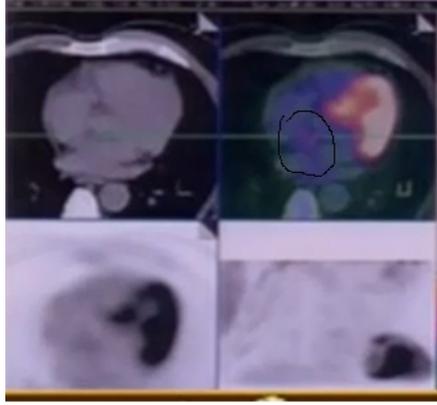
الرسم 19: المادة المشعة داخل القلب مع بداية التجربة

بعد ثلاثين دقيقة من النوم يظهر الجهاز تركز للمادة المشعة في البطين الأيسر أي أن عضلة البطين الأيسر كانت الأكثر نشاطا في حالة النوم وذلك لما تقوم به من ضخ للدم إلى جميع الجسم كما توضح الصورة التالية:



الرسم 20: المادة المشعة داخل القلب بعد ثلاثين دقيقة

وحين بدأت عملية الاستيقاظ أي إدراك الأشياء بعد ساعة على بداية التجربة ظهر نشاط في منطقة الأذنين أي أن سرعة الدم وكثافة الطاقة زادت في هذه المنطقة كما تظهر الصورة التالية:



الرسم 21: ظهور أول نشاطي الأذنين

أظهرت هذه التجربة أن أول نشاط مرتبط بالإدراك بعد الاستيقاظ يقع في الجدار الخلفي للأذنين والذي يعتقد العلماء أنه مخ القلب الصغير الذي اكتشفه الدكتور آرمور ويعتبر مركز الإدراك واتخاذ القرارات في الإنسان. ولذا حين ينام أحدنا تكون أذناه مفتوحتان ولكنهما لا يقومان بوظائفهما من سمع وحتى البعض منا تكون عيناه مفتوحتان وقت النوم ولكنه لا يرى بهما وحين يستيقظ أحدنا من النوم إذا به يسمع ويرى. بينت هذه التجربة وجود طريقة علمية تمكن من معرفة محل العقل عند الإنسان ولتأكيد هذه الحقيقة يجب تكرار هذا النوع من التجارب لتصوير نشاط القلب في الحالات المختلفة سواء كان النوم أو اليقظة ومقارنة نشاط هذه المنطقة عند الطفل والبالغ، وكذلك المجنون والعاقل، يقول الأستاذ عمر: فكما قاموا بهذه التجارب على الدماغ يمكن كذلك إجراؤها على القلب حتى

نتمكن من معرفة التغيرات التي تحدث فيه حين يتواصل مع الدماغ لتحميل المعلومات الأساسية لحياتنا اليومية أو لإنجاز عمل ما. وتؤكد صحيفة ديلي ميل أن الأطباء في الصين مهتمون بدراسة هذه الظاهرة وقد فسروا العلاقة بين القلب والعقل من خلال نظرية "Xin Cang Shen" وتعني أن القلب هو مسكن العقل والتفكير. وإذا تابعت هذه التجارب عن علاقة الإدراك والعقل بالقلب فإنها ستغير الكثير من الحقائق في الطب الحديث.

5- القلب والحركات الإرادية

في مؤتمر علمي حول (الوعي بين القلب والدماغ) عُقد بالخرطوم في 29 سبتمبر 2012، بمشاركة علماء من السودان والعالم الإسلامي، وبحضور عدد من اختصاصي القلب والجهاز العصبي في الجامعات السودانية. أعلنت الدكتورة آمنة محمد صالح الفكي مستشارة طب الأطفال بالخرطوم، والمديرة العامة لمنظمة علوم الوعي والجهاز العصبي عن فرضية جديدة من أهم الأبحاث الطبية في العصر الحالي تكشف عن الدور الفسيولوجي للقلب ووظائفه وعلاقة ذلك بالحركة الإرادية في حالة الوعي وقالت الدكتورة آمنة "إن العلوم والأبحاث الطبية كانت تجزم بأن الحركة الإرادية تصدر من خلايا الدماغ فقط، لكن الأبحاث الآن أثبتت أن المخ وقاع المخ هما مصدر الحركة اللاإرادية فقط ومثال ذلك حركة اليدين أثناء السير التي تتم بدون تحكم من الإنسان، أما في حالة الحركة الإرادية فالدماغ يستجيب لأوامر القلب ويقوم بالتنفيذ الفوري بواسطة إشارات عصبية ترسل إلى العضو

المراد تحريكه"، وتحدثت آمنة الفكي، في ورقتها، عن كيفية حدوث حالة الوعي وقالت: "إن الوعي هو حالة تحدث عندما يرسل القلب إشارات بها معلومات وقرارات، اتخذها سلفاً إلى مراكز الدماغ المختلفة، ليقوم هذا الأخير بالتنفيذ." وذكرت أن أي عمل إرادي في حالة الوعي تشارك فيه ثلاث مراكز أساسية هي القلب، والدماغ، والعضو المراد تحريكه، ولكل من هذه المراكز دور يقوم به، ووضعت أيضاً فرضية أن القلب له دور أساسي في حدوث الحركة والسلوك واتخاذ القرارات". وأشارت إلى أنها بهذه الحثيات قدمت فرضيتها في مؤتمر نحو تفسير علمي لظاهرة الوعي والحركة اللاإرادية بالسويد، حيث وجدت قبولاً كبيراً مما دفعها للمشاركة في مؤتمر علوم الوعي الدوري بجامعة أريزونا الأمريكية، وأضافت بأنّ مركز دراسات علوم الوعي بالجامعة منحها براءة الملكية الفكرية، مقرأً بأن القلب هو مصدر اتخاذ القرار ومنشأ النية والوعي لحدوث أية حركة إرادية ومصدر القرار والإرادة الحرة. وقد تباينت آراء العلماء والباحثين حول فرضية الدكتور آمنة، واتفق معها الدكتور مالك البدري استشاري علم النفس، الذي أكد دور القلب في الوعي والتفكير، وقال إن الغرب توصل إلى دور القلب وتأثيره على الدماغ والجهاز العصبي، وأن الفرضية الجديدة ستحدث نتائج خطيرة في الأبحاث الطبية.

6- القلب والحالة النفسية

من المعروف على نطاق واسع أن الحالة النفسية المتردية تلعب دوراً واضحاً في التأثير على الحالة الصحية للقلب، ولها وقعها القوي عليه ومن شأن

الضغط النفسي التسبب في تقليص الأوعية الدموية ورفع ضغط الدم وزيادة عدد ضربات القلب، وبالتالي ارتفاع حاجة القلب للأوكسجين. ومن نتيجة هذا تعرض عضلة القلب إلى نقص في الدم المتدفق إليها، وهي حالة طبية تعرف باسم "احتباس عضلة القلب". استخدم الباحثون في الولايات المتحدة أسلوباً لرصد وكشف هذه الحالة من خلال استخدام نوع من الصبغات التي تصبغ بها كريات الدم الحمراء بهدف مراقبة ما قد يطرأ من حالات غير عادية خلال عملية ضخ الدم من القلب وإليه، والتي تعتبر دليلاً واضحاً على وجود حالة احتباس عضلة القلب، وقد شملت الدراسة الأمريكية 196 مريضاً كلهم خضعوا إلى عمليات لتضييق ما لا يقل عن شريان رئيسي واحد متصل بالقلب، أو أنهم أصيبوا في الماضي بذبحة صدرية واحدة على الأقل، واخضع المرضى إلى اختبار لقياس مستويات الضغط النفسي والعاطفي، حيث طلب منهم الحديث عن موضوع معين له حساسية معنوية حدد لهم سابقاً ولمدة خمس دقائق. وقد تبين وجود تعقيدات وحالات غير عادية بعملية ضخ الدم في قلوب نحو عشرين في المئة منهم خلال فترة الاختبار القصيرة. كما لوحظ أن من تعرضوا لهذه التعقيدات كانوا معرضين أيضاً للموت بمعدل يقترب من ثلاثة أضعاف عن من لم يتعرضوا للتعقيدات من نفس نوع المرضى خلال الأعوام الخمسة اللاحقة. ويقول الدكتور ديفيد شيبس من مركز العلوم الصحية بجامعة فلوريدا: إن نتائج البحث تضيف دليلاً جديداً للبراهين الموجودة والتي تؤكد الصلة بين الضغط النفسي والعاطفي على صحة المصاب بأمراض متصلة

بالأوعية الدموية وبالقلب. ويقول متحدث باسم جمعية القلب البريطانية، في حديث مع بي بي سي اونلاين، إن النتائج الأخيرة تنضاف إلى الدلائل المتزايدة التي تفيد بأن من يتعرض لضغوط العمل والاكتئاب، ومن هو سريع الغضب ومن يقلق بسهولة، يكون عرضة أكثر من غيره لأمراض القلب والأوعية الدموية ويشير إلى أن هؤلاء الناس يجدون أنفسهم وهم ينجرون إلى الإدمان على عادات سيئة صحياً مثل التدخين والميل إلى تناول الطعام السيئ والغير صحي .

1-6 القلب والقلق

كشفت بحث أمريكي أن الإجهاد والضغط النفسية التي يتعرض لها الأفراد بشكل يومي يمكن أن تسبب بعض أنواع السرطان وأظهرت الدراسة التي نفذها باحثون من جامعة "ييل" الأمريكية، أن الضغوط النفسية اليومية قد تحفز نمو الأورام، وأن أي صدمة، عاطفية أو جسدية، يمكن أن تكون بمثابة "ممر" بين الطفرات السرطانية التي تؤدي في النهاية إلى الإصابة بأورام خطيرة. وتبين نتائج الدراسة، التي نشرت في المجلة العلمية الدورية "الطبيعة"، أن الظروف اللازمة للإصابة بهذا المرض يمكن أن تتأثر بالبيئة العاطفية بما في ذلك كل المهام اليومية التي نقوم بها سواء في العمل أو في نطاق العائلة. في حين وجدت دراسة بريطانية أن الإجهاد الناجم عن العمل عامل مهم في حدوث أمراض القلب وداء السكري والتعرض لأخطار السكتة الدماغية. لتؤكد علمياً الاعتقاد السائد منذ القدم بارتباطه بالنبوات

القلبية. ويؤكد الخبراء أن كل ضغط نفسي تتعرض له يضعف أداء القلب عندك وكأنك تضغط عليه بأداة حادة!!



الرسم 22: الضغوط النفسية تضعف أداء القلب

كما لاحظ العلماء أن معدلات الوفيات بين مرضى القلب الذين يعانون في الوقت نفسه من ضغوط نفسية وعاطفية تزداد بثلاثة أضعاف عن أقرانهم من نفس المرضى ممن لا يعانون من ضغوط مشابهة كما تبين أن زيادة الضغط النفسي والعاطفي تلعب دورا ملموسا في دفع مرضى القلب إلى حتفهم.

2-6 القلب والغضب

يصاحب الغضب والخوف والحزن والفرح تغيرات في أداء القلب والأوعية الدموية وأشد هذه العواطف تغييرا في الجسم حسب الدراسات الطبية هو الغضب سواء في شدة التغيرات التي يحدثها مقارنة بالعواطف الأخرى أو في الوقت الذي يأخذه الجسم ليرجع لحالته الطبيعية أو في تعريض القلب على المدى البعيد لتضييق الشرايين وانسدادها كما أوضحت ذلك

دراسة (interheart) التي أجريت في أكثر من خمسين دولة في العالم وعلى تسعة وعشرين ألف مريض.

كما أن تأثير الغضب على القلب ليس بارتفاع الضغط فقط وإنما أوضح كثير من العلماء أنه خلال الغضب ترتفع أيضا هرمونات الكاتيكولامين والنورايبينفرين إلى أكثر من أربعة أضعاف المستوى الطبيعي في الدم وكلا هذين الهرمونين يؤدي عضلة القلب على المدى القصير والطويل وكذلك إلى ترسب الكوليسترول على جدران الشرايين كما دلت على ذلك زيادة سماكة بطانة شرايين الرقبة في الأشخاص سريع الغضب وخلال الغضب يحمر الوجه وتنعقد الحواجب ويرتفع الصوت وتنتفخ عروق الرقبة بسبب ازدياد الضغط الهوائي داخل الرئتين لإصدار الصوت العالي المخيف عند الغضب ولذلك كانت العرب تصف شدة الغضب بانتفاخ الأوداج وهي أوردة الرقبتين.

إذن أكثر عضو يتأثر بالغضب هو القلب حيث تزيد نبضاته بأكثر من 25% مما يزيد ضغط الدم ويسبب قصور واضح في عضلة القلب بسبب نقص التروية وزيادة الحاجة للأكسجين كما يسبب الغضب زيادة تكلس الشرايين وتضييقها بنسبة ثلاثة أضعاف مقارنة بمن لا يغضب بسهولة. هذه التغيرات الفسيولوجية لا تقتصر على موقف الغضب نفسه وإنما من الممكن أن تحدث هذه التغيرات في القلب للأشخاص الذين يسترجعون هذه المواقف في ذاكرتهم فيستمر العبء على القلب والأوعية الدموية لفترات طويلة ولذلك فهذه المجموعة عرضة أكثر من غيرها لتأثير الضغط على

الأوعية الدموية في شبكية العين وفي القلب وفي الكلى. بمعنى أن زيادة الضغط بخمسه ملم من الزئبق لفترات طويلة أخطر بكثير من أن يرتفع إلى 180 ملم من الزئبق لدقائق معدودة ثم يعود لحالته العادية لذا يجب قطع الطريق على إعادة تذكر تلك المواقف التي تثير غضب الشخص وذلك بتوجيه انتباهه وتركيز فكره إلى أشياء أخرى إيجابية وأكثر جمالا في حياته. كما أوضحت دراسة نشرت في مارس 2009 في مجلة الجمعية الأمريكية للأمراض القلب. أن الغضب يؤثر في مرضى القلب وبالذات في من لديهم ضعف شديد في عضلة القلب ومن الممكن أن يسبب التوقف المفاجئ للقلب، وأقيمت التجربة على 62 مريضا زرع لكل منهم جهاز كهربائي في القلب بسبب دواعي طبية في جامعة يال وتم تعريضهم لتجربة «تذكر حوادث مغضبة» فحدثت لديهم تغييرات في تخطيط القلب وتعرض 10 مرضى للرجفان البطيني وهو من أهم مسببات الوفاة المفاجئة لدى مرضى القلب وكلما زادت تغيرات تخطيط القلب مع الغضب زاد احتمال الوفاة المفاجئة، وذلك لأن الغضب من أقوى مسببات ازدياد الادرينالين في الدم وعضلة القلب حساسة جدا لهذه المادة. كما يسبب الغضب الإحساس بانقباض في الصدر، ويتحسن مع ذهابه، فإن كنت مثلاً تصعد الدرج أو تمشي مسافة طويلة دون أن تشعر بأي ألم في الصدر، فقط تشعر بانقباضه في حالة الغضب، ولا يرافق ذلك أي تعرق أو ضيق في النفس، فأعلم أن السبب هو الغضب نفسه وليس مرضاً في القلب.

3-6 القلب والتشاؤم

أكدت دراسة أمريكية أن احتمال تعرض مرضى القلب للوفاة يزداد كثيراً كلما كان التشاؤم في تعاطيهم مع حالتهم الصحية كبيراً. ويقول الدكتور جون بيرفوت من المركز الطبي التابع لجامعة ديوك الأمريكية، تعد هذه من أولى الدراسات التي تختبر كيفية تأثير صحة المريض بنظرته وتوجهاته حيال مرضه، ومدى تشاؤمه مما يؤثر في النهاية على فرصه في النجاة. وقد ركزت الدراسات السابقة على تأثير توقعات المريض، فيما يختص بحالته المرضية، على قدرته على استئناف الحياة بشكل طبيعي، وبالتحديد فيما يتعلق بالعمل وقيامه بالتمارين الرياضية، إلا أن الدراسة الأخيرة أكدت أن ارتفاع مخاطر الوفاة عند مرضى القلب الذين يظهرون تشاؤماً تجاه وضعهم الصحي يعد كبيراً جداً، وذلك بمقدار الضعف مقارنة مع المرضى الآخرين. ومن وجهة نظر الباحثين، فقد بات من المعلوم وجود علاقة بين الاكتئاب وزيادة معدلات الوفيات عند مرضى القلب، غير أن النتائج الحالية تظهر حجم تأثير توقعات المريض، على تعافيه من المرض، بغض النظر عن أية عوامل نفسية أو اجتماعية أخرى.

4-6 القلب والتفاؤل

كشفت دراسة أمريكية حديثة^[19] أن التفاؤل يمكنه أن يقلل من خطر الإصابة بقصور القلب وقام الباحثون خلال الدراسة التي نشرت مؤخراً على الموقع الإلكتروني لصحيفة "Medical News Today"، بقيادة الدكتور

إريك كيم، من قسم علم النفس في جامعة ميشيغان، بالتعاون مع باحثين من جامعة هارفارد، بتحليل المعلومات الأساسية، من حيث بيانات التاريخ الصحي والنفسي لكبار السن والبالغين، وتمت متابعة جميع المشاركين لمدة 4 سنوات. أخذ الباحثون في الاعتبار عوامل معينة يمكن أن تؤثر في القلب، مثل السلوكيات الصحية، والأمراض المزمنة، والعوامل البيولوجية والديموغرافية. ومن ثم وجدوا أن الأفراد الذين لديهم مستويات أعلى من التفاؤل لديهم مخاطر أقل بنسبة 73% لقصور القلب خلال فترة الدراسة، مقارنة بأولئك الذين كانوا متشائمين. وأضاف كيم أنه "لا يمكن أن نقول بشكل قاطع إن التفاؤل يؤدي إلى صحة القلب، ولكن المواقف الإيجابية من المرجح أن تقلل أي ضرر وكانت دراسات سابقة أشارت إلى أن مستويات عالية من التفاؤل، مثل توقع حدوث أمور إيجابية، قد تكون مفيدة للصحة العامة. يذكر أن أكثر من 5.1 مليون شخص في الولايات المتحدة يعانون من الأزمات القلبية، وحوالي 50% من الذين يعانون من هذه الحالة يموتون في غضون 5 سنوات من التشخيص.

5-6 القلب والخوف

في حالة الخوف يتم إفراز هرمون الأدرينالين الذي يوسع الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية في الأعضاء التي يحتاجها الإنسان للخروج من المأزق وتضيقها في الأعضاء الأخرى وزيادة نبضات القلب حتى تصل أكبر كمية ممكنة من الدم إلى الأعضاء المساعدة على التخلص مما هو مخيف. فمثلا في حالة الخوف من شخص يلاحقك تتوسع الشرايين في الساقين والقدم

وتضيق في الأكتاف والأعضاء الأقل أهمية في هذا الوقت حتى تتمكن الساقان والقدمان من الحصول على أكبر كمية ممكنة من الدم في وقت الجري. يعتبر الأدرينالين الناقل العصبي للجهاز العصبي السمبثاوي "القلب، الرئتين، الأوعية الدموية، المثانة". حيث يقوم بجملة من التغييرات كالتأثير على ضربات القلب مما يؤدي إلى ضخ الدم بصفة سريعة، التغير في استهلاك الأوكسجين، اتساع الشعب الهوائية، التغير في اتساع حدقة العين، التقليل من زمن تجلط الدم، التغير في انقباض الأوعية الدموية وتمهينة العضلات.

في الحالة العادية ينبض القلب 70 إلى 90 نبضة في الدقيقة، ويدخل إليه عند الانبساط 160 مل من الدم يضخ منها نسبة 70% أي 112 مل أما في حالة الخوف فتتسارع نبضات القلب لتصل إلى 150 نبضة أو أكثر في الدقيقة ولذا فإن الغرف تنبسط وتنقبض بسرعة ولا تدع مجالاً لامتلائها وهنا لا يجد القلب الكمية الكافية من الدم ليضخها، حيث لا تتجاوز الكمية الداخلة إلى القلب من الدم 40 مل وعليه فإن قلباً ينبض 200 نبضة في الدقيقة يدفع كمية من الدم أقل من القلب الذي ينبض 70 مرة في الدقيقة مما يؤثر سلباً على إدراك الشخص وتركيزه.

6-6 القلب والطمأنينة

يؤكد جميع العلماء أن السبب الأول للوفاة هو اضطراب نظم عمل القلب، وأن أفضل طريقة لعلاج هذا الاضطراب هو العمل على استقرار القلب، وقد ثبت أن بعض الترددات الصوتية تؤثر في عمل القلب وتساعد على

استقراره، فقد عرض أطباء من فنلندا 60 مريضاً يعانون من نوبة قلبية إلى أصوات مفضلة لديهم ووجدوا أن لها أثراً كبيراً في شفاء القلب وزيادة مقاومته للمرض. كما وجدوا أن النوبات القلبية التي يتعرض لها المريض تؤثر سلباً على إدراكه وذاكرته، وحين يوضع المريض في الجو المريح الذي يرغب فيه والذي يرتاح له يظهر تحسناً ملموساً في مستوى الذاكرة، واستقراراً في أداء القلب.

ويؤكد الباحثون أن هذا البحث يظهر تأثير الاستماع إلى الأصوات المرغوبة من قبل المريض وأثر هذه الترددات الصوتية على قلبه وبخاصة بعد تعرضه للنوبة القلبية مباشرة. حتى إن بعض هؤلاء الباحثين بدأ ينظر إلى أهمية الصوت في علاج المشاكل النفسية العصبية مثل مشاكل النطق التي عجز الطب عن علاجها.

ومن الملاحظ أن معدل نبضات القلب يتغير تبعاً للحالة النفسية والعاطفية للإنسان، ولذلك فإن بعض العلماء اليوم يقومون بإنشاء مراكز تهتم بدراسة العلاقة بين القلب والدماغ وعلاقة القلب بالعمليات النفسية والإدراكية، بعدما أدركوا الدور الكبير للقلب في التفكير والإبداع.

والأطباء أنفسهم يعترفون بأن أغوار الإنسان وأسراره لم يكتشف منها إلا القليل. لكن يتضح أن القلب يشعر بالأفراح والآلام والأحزان وغير ذلك.

الفصل الرابع: زراعة القلوب

1- تعريف

بسبب صعوبة علاج أمراض القلب فكر العلماء بعمليات زراعة القلب منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر حيث أجريت أول عملية زراعة قلب سنة 1967 في جنوب إفريقيا على يد جراح القلب الدكتور كريستيان برنار وكان العائق في عدم إجراء عمليات من هذا النوع هو انعدام الأدوية المثبطة للمناعة والتي تساعد الجسم على تقبل القلب المزروع، وبعد أن تم اكتشاف أول عقار مثبط للمناعة في عام 1983 أجريت أول عملية زراعة قلب ناجحة في العالم عام 1984 في جامعة كولومبيا الأمريكية لطفل عمره 4 سنوات وقد عاش حياة طبيعية، توالى بعدها العديد من العمليات حيث أصبح الاحتياج لزراعة القلب في العالم يزداد يوماً بعد يوم، فأمراض القلب تحتل المرتبة الأولى ضمن الأمراض القاتلة، لاسيما في الدول النامية، وذلك طبقاً لما جاء في إحصائيات منظمة الصحة العالمية، حيث يحتاج 1.5% من تعداد سكان العالم إلى زراعة قلب، وحسب آخر الإحصاءات التي قامت بها 50 دولة في أوروبا وجدوا أن قارة أوروبا وحدها تحتاج لـ 15 مليون عملية زراعة قلب، وتتم عبر العالم أكثر من 2500 زراعة قلب سنوياً، أكثر من ألف منها في الولايات المتحدة الأمريكية. فعند ما يموت الإنسان بسبب حادث أو صدمة مفاجئة أو بحادث قتل مثلاً أو يموت منتحراً قد لا يموت قلبه على الفور بل يبقى لفترة

أقصاها أربع ساعات فإذا كان قد صرح قبل وفاته بأنه متبرع بقلبه أو تبرع به ذووه وتمكن الأطباء من نزع هذا القلب في الساعات الأولى بعد الوفاة ووضعوه في سائل خاص وأشرفوا عليه، مكثهم ذلك من الاستفادة منه في معالجة المرضى الذين يحتاجون إلى زراعة القلب. وكان الكل يعتقد بان زراعة القلب هي فقط عملية نقل قلب سليم معافي من شخص مقنوط من حياته إلى شخص آخر مريض ليتمكن من الحياة، لكن الأطباء وبعد أن كثرت هذه العمليات بدأوا يراقبون حالة هؤلاء المرضى فلاحظوا أن المتلقي تحدث لديه تغيرات عميقة في شخصيته ومعتقداته وفيما يحب وما يكره إلى غير ذلك من الصفات التي كانت عند المتبرع وذلك بنسبة 10 إلى 15% ممن خضعوا لعمليات زراعة القلب. وتعتبر هذه النسبة مرتفعة جدا إذا ما قورنت بنسبة من تمت متابعتهم وذلك لأن القانون في أغلب الدول يحرم على المتلقي معرفة أي معلومات عن واهبه أو التواصل مع أهله لأسباب واهية.

الدكتور جاك كوبلاند الأستاذ بجامعة كاليفورنيا في سان دييغو والذي ترأس برنامج جراحة القلب في جامعة ولاية أريزونا لمدة 33 عاما وأشرف على أكثر من 800 حالة زراعة قلب وجد أن هؤلاء المرضى تحدث لديهم تغيرات عميقة في شخصياتهم.

تقول المعالجة النفسية ليندا ماركس^[20] والتي عملت لمدة عشرين عاماً في مركز لزراعة القلب كان الناس يسألونني دائماً: ماذا تعملين في هذا المركز وأنت تعلمين أن القلب مجرد مضخة للدم ليس له علاقة بالحالة النفسية

للإنسان؟ فكنت أجيّب: إنني أحس بالتغيرات التي تحصل في نفسية المريض بعد عملية زراعة القلب، وأحس بتغير عاطفته، ولكن ليس لدي الدليل العلمي إلا ما أراه أمامي. لكن في التسعينات تعرفت على الدكتورة ليندا روسك^[21] والتي تمكنت من تسجيل علاقة بين الترددات الكهرومغناطيسية التي يبثها القلب والتي يبثها الدماغ أثبتت من خلالها أن القلب يؤثر تأثيراً بالغاً على الدماغ ويوجهه.

كذلك أثبتت دراسة علمية قام بها فريق من الباحثين برئاسة الدكتور جاك كوبلاند بالتعاون بين جامعة بيل الأمريكية ومعهد رياضيات القلب بولاية كاليفورنيا، أن للقلب جهازاً عصبياً يشبه المخ تماماً، له ذاكرة قصيرة وطويلة الأمد وقد اتضح ذلك بجلاء عند نقل قلب من إنسان إلى آخر حيث يحمل هذا القلب معه من الذكريات والمواهب والعواطف والمشاعر والهوايات والسجيا والتفضيلات الخاصة بالشخص الذي أخذ منه، والتي تبدو غريبة كل الغرابة عن صفات الشخص الذي تم نقل القلب إليه. وبالطبع هذا الاكتشاف أذهل العالم حتى هذه اللحظة بما في ذلك جراحي المخ والقلب، يقول الدكتور جاك كوبلاند "إن المعلومات الموجودة في الإنسان تنتقل من شخص إلى آخر عبر هذا العضو الثابت لذا أظن أن احتمال نقل القلب للمعلومات موجود بالتأكيد".

قام البروفيسور كاري اشوارتز عام 2002 ببحث في جامعة أريزونا الأمريكية ضم أكثر من 300 حالة زراعة قلب، ووجد بأن جميعها قد حدثت لها تغيرات جذرية بعد العملية. ووثق عشرات الحالات التي تثبت أن للقلب دوراً

كبيراً في التحكم بشخصية الإنسان وأفعاله وذكرياته وهو الذي يحدد مستوى الإيمان أو الكفر لدى الإنسان!

كما يقول الأستاذ بول بيرسال أستاذ العلوم النفسية والذي كان مصاباً بسرطان العظم النخاعي في مرحلته الرابعة: "لقد قمت بزراعة العظم النخاعي في أوائل الثمانينيات وكنت في وحدة الزراعة كان معظمنا يحتضر وكنا نجلس ليلاً ونتحدث عن أشياء تحصل لنا وكان الذين زرعت لهم قلوب يتحدثون عن حصولهم على ذكريات ومشاعر ومذاق ومخاوف وتفضيلات واهبيهم." جمع الدكتور كل هذه القصص الملفتة في كتاب بعنوان: شفرة القلب "The Hearts Code". كما استطاع أن يقابل 150 من الذين تمت زراعة قلب لهم، وتبين أنهم جميعاً يحملون ذكريات من أصحاب القلوب التي تم نقلها لهم من ضمنهم عشرة أشخاص تمت زراعة قلب ورثة لهم، وتبين اختلاف مشاعرهم وطبائعهم بعد عملية الزرع، كما قام ببحث تحت عنوان (تغيرات في شخصيات المتلقين توازي شخصيات الواهبين) البحث شمل 74 شخصاً تمت زراعة أعضاء لهم منهم 23 زراعة قلب وتمت متابعتهم خلال 10 سنوات.

يقول كاري اشوارتز أستاذ علم الأعصاب بجامعة أريزونا: "القصص التي كان يجمعها بول بيرسال وفريقه عن الأشخاص الذين زرعت لهم قلوب تحتوي على تشابهات ملفتة، وقد بدا لي بأن الصفات التي يكتسبها المتلقون يمكن أن تأتي من قلوبهم الجديدة إذ أن القلب يعمل كجهاز تخزين للذكريات عبر التغذية الراجعة، وبالتالي إذا انتزع القلب ووضع في جسد

آخر فإن ذكريات القلب الحيوية هذه والتي هي في آليته العصبية والخلوية وحلقات التغذية الراجعة تنتقل إلى الشخص المتلقي". ولإثبات هذه النظرية واختبارها في طب الأحياء شكل كل من الدكتور بول برسال والدكتور أشوارتز فريق عمل لمقابلة ومتابعة متلقي القلوب وعائلات الواهيين للبحث عن التشابهات بين الواهيين والمتلقين في تفضيلاتهم وذكرياتهم وحواس الذوق لديهم. وتم تسجيل مقابلات وشهادات المتلقين وأهالي المتبرعين وأصدقائهم بالصوت ثم قاموا وبمساعدة الدكتورة روسك بفحص كل حالة بشكل مستقل وجعلوها موضع اختبار علي ثم كتبوا تقرير بحث رسمي واصفين فيه تلك الحالات مع بيانات غير قابلة للدحض، ومن بين أكثر من 70 حالة، اختار الفريق 10 حالات الأكثر تطابق وتم تدوينها ونشر شهادات أهلها بعد موافقة الأهالي على ذلك.

2- عشر حالات موثقة بطريقة علمية

في كل حالة من هذه العشر حالات تم إيراد شهادة المتلقي وأحد أفراد عائلته أو صديق له وطبعا أحد أفراد عائلة المتبرع. وأوردت هذه الشهادات مختصرة وحذفت منها كل ما هو مناف للأخلاق والقيم^[22].

2-1 داني تعزف مقاطع موسيقية لم تسمعها من قبل:

المتبرع شاب عمره 18 عاماً كان يؤلف الشعر ويعزف الموسيقى، مات في حادث سير، تم نقل قلبه إلى فتاة تُدعى «داني» عمرها 18 عاماً كانت تعاني من قصور والتهاب في الطبقة الداخلية للقلب

أبو المتبرع طبيب نفسي يقول: ابني كان يقضي معظم أوقاته يكتب الشعر، وبعد موته بسنة وفي عملية تنظيم غرفته عثرنا على كتاب يحوي جميع أشعاره التي لم نطلع أحدا عليها، كما كان كذلك عازف موسيقي، " بعد رحيله بعام استطاع الفريق البحثي أن يجمع بين الفتاة التي تم نقل القلب لها وأهل الشاب المتوفى، وعندما دخلت الفتاة إلى منزلهم عزفت على البيانو نفس المقاطع الموسيقية والأغاني التي كان يفضل الواهب عزفها، مع أنها لم تتعلم العزف أو التلحين من قبل، وكانت تردد كلمات الأغاني التي كان أهله يحتفظون بها من دون سابق معرفة بها. وتقول حينما عرضوا صوراً له أمامي وجدت أنني أعرفه وحين كانوا يسمعونني بداية أي أغنية من أغانيه كنت أكملها مباشرة رغم أنني لم أسمعها من قبل، وجدتي كذلك بعد زراعة القلب أحب الموسيقى كثيراً وأجيد العزف على الآلات الموسيقية رغم أنني لم أتعلم الموسيقى أبداً في حياتي.

2-2 عجزوز يتصرف وكأنه في سن المراهقة

الواهبة فتاة عمرها 14 عاماً ماتت إثر حادث سقوط وهي تمارس رياضة الجمباز أما الملتقي فهو رجل في 47 من عمره كان يعاني من ورم واعتلال في القلب.

تقول أم الواهبة وهي تعرض صورة ابنتها: إن ابنتي كانت تتمتع بصحة جيدة وتمارس الجمباز وكان أستاذها يستطيع أن يرفعها من رأسها بيد واحدة وكانت مليئة بالنشاط والحيوية وتقضي معظم أوقاتها تجري وتقفز كالقطة الصغيرة كلما كانت تعاني منه هو عدم الشهية فلم تكن تحب الأكل

وكانت حين ما تحس بالإجراج تقهقه قهقهة خفيفة ولكنها غريبة بعض الشيء.

المتلقي كوس يقول: أحس وكأنني مراهق وأنا أعرف أن هذه الطاقة جاءتني من القلب الجديد لكنني أحس بنشوة الشباب ليس فقط في جسدي بل في تفكيري وحتى في نظرتي للعالم من حولي وأنا أجنح للضحك والقهقهة كثيراً مما يقلق زوجتي ويصيبها بالغضب أحيانا كما أنني ومنذ زراعة هذا القلب وأنا لا أملك أية شهية وأجد صعوبة كبيرة في الأكل وبعض المرات أتقيئ من غير سبب.

أخو المتلقي يقول: إن كوس عاد مراهقا بكل معنى الكلمة أو ذلك ما يعتقده في نفسه فحين ما نلعب البولينج يصرخ ويقفز وكأن ما به جنون، كما أنه يضحك ضحكا أشبه بضحك الفتيات وقد نهناه إلى ذلك ولكنه لم يستطع أن يتغير. وقد تقياً مرة بعد وجبة عيد الشكر التي كان يحبها كثيراً وذهبنا به إلى المستشفى ظنا منا أن ذلك له علاقة بالطعام لكن الطبيب وبعد الكشف عليه لم يجد أي شيء كما أنه تفاجأ من نقصان وزنه.

يقول كاري اشوارتز: العجوز المسن اليائس من الحياة، الذي كان يعيش ويعاني انسدادا في شرايين القلب جعل الأطباء يقررون إجراء عملية زراعة قلب له، ولحسن حظ هذا العجوز كان القلب الجديد لهذه الشابة النشطة والمرحة. بعد نجاح هذه العملية خرج هذا العجوز من المستشفى ليجد نفسه أمام تغيرات غريبة في حياته لم يعتدها من قبل. أصبح مليئا بالحيوية، يرتدي الملابس ذات الألوان الصاخبة والمزينة بالورود، ويرقص

على أنغام الجاز، ويتصرف مثل من هم في عمر أحفاده. كل هذا جاء من قلبه الجديد.

3-2 متلقية تتصور أن شيئاً ما يصدمها في صدرها

المتبرعة شابة عمرها تسعة عشر عاماً ماتت إثر حادث سير، أما المتلقية فعمرها تسعة وعشرون سنة مصابة باعتلال في عضلة القلب.

تقول أم المتبرعة كانت سارة لا تحترم العلاقات الاجتماعية حيث كانت لها ارتباطات عديدة مع الرجال ولم تكن ودودة، وهي نباتية لا تأكل اللحم، صدمتها سيارة في صدرها، وأصيبت على إثر الحادث بشلل نصفي لكتفها كانت تردد دائماً وحتى قبل موتها أنها تحس وكأن السيارة صدمتها للتو في صدرها وذلك رغم مضي وقت على الحادث وتقول بأنها تحس كل مرة أثر الصدمة يسري في جسمها. أما المتلقية فكانت تقول: يمكنكم أن تحدثوا الناس بما سأقول لكم ولكنهم سيعتقدون أنكم مجانين. منذ زراعة هذا القلب وأنا أحس وكأن شيئاً ما يصدمني في صدري وبصورة عنيفة وكان طبيبي يقول دائماً إن ذلك سوف يتغير ولكنه بقي على حاله أو أشد ومنذ زراعة هذا القلب وأنا أعاني من ألم الصدمة يسري في جسدي كله كما أنني كنت من محبي وجبات ماكدونالد أما الآن فإن أكل اللحوم يشعرني بالغثيان وقد أتقيئ بمجرد أن أتذوق اللحم كما أنه حصل معي تغير في الأخلاق والعادات الاجتماعية فبعد زراعة هذا القلب أصبحت أميل إلى العلاقات المتعددة مما نفرمتي أقرب المقربين.

أما أخو المتلقية فيقول لا شك أن أختي تغيرت تغيرا جذريا في الأخلاق والعادات وهي لا تطيق الآن وجود اللحم في المنزل. وهناك أمور كثيرة تغيرت فيها فقد أصبحت لها علاقات مشبوهة.

4-2 جيمي يخاف الماء بعد تلقيه قلب صبية ماتت غرقا

الواهبة طفلة عمرها ثلاث سنوات ماتت غرقا في مسبح عائلي، أما المتلقي فهو طفل عمره تسعة سنوات كان يعاني من التهاب في عضلة القلب ومن تشوهات خلقية في الحاجز بين البطينين.

أم المتلقي تقول إن إبني لا يعرف أي شيء عن الواهبة ولا عن سبب موتها أما نحن فنعرف أنها ماتت غرقا في بيت صديق أمها حيث تركتها مع حاضنة أطفال وخرجت مع صديقها أما الحاضنة فكانت منشغلة بالهاتف حين وقوع الحادثة. والد الطفلة لم يزرها منذ أن طلق أمها وتركها تعاني الإهمال والضياع.

المتلقي جيمي الذي لا يعرف أي شيء عن الواهبة يتحدث دائما عن هجر الآباء لأبنائهم وينتابه قلق من أن أبويه سوف ينفصلان. كما انه يخاف خوفا شديدا من الماء رغم أنه يعيش بالقرب من بحيرة وتقول أمه كان جيمي قبل أن تجرى له عملية زراعة القلب يحب كثيرا السباحة أما الآن فهو يغلق دائما وبإحكام الباب الخلفي المؤدي إلى الحديقة والبحيرة ويقول إنه يخاف كثيرا من الماء.

5-2 متلقي يشعر بتغيرات فسيولوجية

المتبرعة شابة في الرابعة والعشرين من عمرها ماتت في حادث سير أما المتلقي فهو شاب في الخامسة والعشرين من العمر يعاني من مرض وراثي، يصيب الجهاز التنفسي والقلب.

تقول أخت المتبرعة: كانت أختي حساسة جدا وتحب الرسم والتأمل في المناظر الطبيعية وكانت في طريقها إلى معرض ومركز للتسوق حين صدمتها تلك السيارة.

يقول المتلقي في البداية لم أكن أتجرأ على أن أقول لأحد إنني أعتقد أن حصولي على قلب امرأة جعل مني إنسانا آخر لقد تغيرت فسيولوجيا. تقول زوجته لا شك أنه من الناحية الصحية هو أفضل مما كان عليه لكن أصبح لديه ميول للتسوق وهو الذي كان يكره دخول محلات التسوق وهو يحمل الآن محفظة نقود كما يحب أن يزور المعارض ويأخذ وقتا كثيرا للتأمل في اللوحات المعروضة ولا ينطق بكلمة وفي بعض زيارتنا لبعض هذه المعارض كنت أذهب وأتركه لأعود إليه لاحقا وأجده ما يزال يتأمل في لوحة واحدة الشيء الذي لم يكن يفعله سابقا.

6-2 داريل يكره اللعبة التي كانت سببا في موت واهبه

كان المتبرع تيم صبيا في الثالثة من العمر حين ما سقط من النافذة وهو يحاول التقاط لعبته المفضلة حارس السلطان وكان المتلقي داريل في الخامسة من العمر مصاب بتشوه خلقي في الحاجز بين البطينين واعتلال

عضلة القلب. تقول والدة تيم عندما التقيت أسرة داريل كان يجلس في الوسط. عرفته على الفور وحينما ابتسم في وجهي تماما كما كان يفعل ابني لم أتمالك فأجهشت بالبكاء وكذلك حين عرفت أنه توقع أن واهبه اسمه تيمي وأن عمره كان نحو ثلاث سنوات بكيت كثيرا أنا وزوجي.

يقول الصبي داريل "أطلقت عليه هذا الاسم " تيم لأنه أصغر مني انه لا يزال صغيرا .انه مثل أخي الصغير انه يحب اللعب، كما أعتقد أنه يحب لعبة حارس السلطان كما كنت أحبها من قبل. ولكني الآن لا أحبها بل أحب لعبة تيم ألين على أداة التوقيت، لذلك أدعوه تيم.

يقول والد المتلقي " داريل لم يعرف اسم أو سن المتبرع ونحن أنفشنا إلى وقت قريب كنا نجهل ذلك كنا نعرف فقط أن الصبي مات بعد سقوطه من النافذة. لكن داريل خمن كل ذلك. ربما كان مجرد صدفة لكنه كان على حق الصبي يدعى توماس لكن والديه يدعوانه تيم.

والدة المتلقي تقول "هل أقول لكم أعظم من كل هذا؟ لقد عرفنا أن تيم توفي وهو يحاول جلب لعبة حارس السلطان التي سقطت من حافة النافذة لن تصدقوا أبدا أن داريل لا يحب أن يلمس هذه اللعبة منذ إجراء العملية له رغم أنه كان يحبها من قبل.

7-2 رجل تتغير نظرتة للسود بعد تلقيه قلب شاب أسود

المتبرع طالب أسود عمره 17 عاما قتل برصاصة طائشة أطلقت من سيارة، أما المتلقي فهو عامل أبيض عمره 47 عاما كان مصابا بتضيق أورطي.

تقول أم المتبرع: كان ابننا خارجا لتوه من قاعة كارنيجي لعزف الكمان، حين أصابته تلك الرصاصة الطائشة، كان يحب الموسيقى وكان عازف كمان بارع، وكان أستاذه يقول بأنه موهوب.

أما المتلقي فيقول: "أنا حزين جدا للشاب الذي فقد حياته وأعطاني قلبه لكن كونه أسود قد أصابني بالضجر لم أكن عنصريا على الإطلاق، أكثر أصحابي في المصنع من السود ولكن فكرة وجود قلب أسود في جسم أبيض جعلتني أصاب ببعض القلق حتى كدت أن أرفضه لو لا أنني أعلم أن الحصول على قلب سليم فرصة قد لا تتكرر لذا قبلته لكنني وجدتني بعد عملية زراعة القلب أحب كثيرا الموسيقى لكلاسيكية التي لم أكن أحبها من قبل ولأول مرة دعوت أصدقائي السود إلى البيت".

تقول زوجة المتلقي: منذ أن تلقى قلب ذلك الشاب الأسود وهو لا يلقي بالا للون أصدقائه ويحب كثيرا الموسيقى لكلاسيكية حتى أنه يغني بعض المرات مقاطع لم يكن قد سمعها من قبل رغم أننا كنا نعتقد أنه سوف يميل إلى موسيقى الروب بعد تلقيه قلب ذلك الشاب الأسود.

يقول كاري في تحليلاته ثمة حالة نصفها لرجل يبلغ عمره سبعة وأربعين عاما وقد تلقى قلب شاب أسود عمره سبعة عشر عاما. لم يكن الرجل عنصريا ولكن كانت لديه تحفظات كثيرة لما كان يتوقعه من الشبان السود مشتملا ذلك على خشيته من أخذ أي شيء منهم وبعد أن تلقى القلب أصابته تغيرات متنوعة لامسها بنفسه أصبح لديه تحول عميق في تفضيله للموسيقى صار مهوسا بالموسيقى لكلاسيكية وبدأ يستمع إليها أكثر وأكثر

وصار ينشد الأنغام الكلاسيكية لأغاني لم يستمع إليها قط وقد عرفنا بأن الشاب كان قد عاد لتوه من القاعة التي تلقى فيها درس الكمان حين وقوع الحادث فهو عازف كامان كلاسيكي، إن ذلك النوع من المعلومات ليس من المعلومات التي تحصل عليها فقط بتصنيف عشوائي للمخاوف أو التغيرات في تفضيلات بسيطة.

8-2 أنجلا تتحدث مع قلب واهبتها

الواهبة ستاسي شابة في التاسعة عشر من العمر ماتت بعد أن سقطت وكسر عنقها في إحدى حصص تعلم الرقص أما المتلقية أنجلا فكانت تعاني من اعتلال في عضلة القلب.

تقول أم الواهبة: إن أنجلا انعكاس حقيقي لابنتنا ستاسي وكأنهما توأمتان على الأقل من ناحية الخصائص الخلقية والتفكير وحتى الطموح والذكاء فهما ذكيتان. تقول: أرادت ابنتي أن تكون ممثلة، ولكن والدها كان طبيبا وكان حريصا على أن تتبع نفس المسار وتتعلم الطب.

يقول والد المتبرعة "ستاسي كانت ذكية جدا، وكنت دائما أدعها بلطف وأقول لها كيف ستكون خيبة أمني كبيرة إذا ذهبت إلى هوليوود بدلا من هارفارد. أتمنى أن تعلم أنني لم أكن أريد إلا أن تكون سعيدة.»

تقول المتلقية أنجلا: "أنا أعتبر ستاسي كأختي وأعرف فقط أنها كانت فتاة في عمري، وأنا أتحدث معها في الليل أو عندما أكون حزينة وأستطيع أن أشعر بها في صدري. وأضع يدي اليسرى على قلبي وأشعر بالتواصل معها. في بعض الأحيان تبدو حزينة. أعتقد أنها أرادت أن تكون ممرضة أو شيئا من

هذا القبيل، كما أنها تحلم دائماً برودواي أشهر شوارع العروض المسرحية والسينما والنشاطات الثقافية بنيويورك أعتقد أنها كانت تعاني من تفضيل واضح لبرودواي . أما أنا فأريد أن أكون ممرضة أو طبيبة. وأمل أنها سوف تكون سعيدة لأنها ستكون دائماً ملاكي الذي هو معي في كل مكان. "

أم أنجلا تقول: "في بعض الأحيان نسمعها تحدث قلبها إنها تضع يدها على صدرها وتحدث إلى صورة واهبتها. مرة وجدناها تضع سماعة الطبيب على صدرها في محاولة لسماع قلبها الجديد. وأعتقد أنها تحدثها من حين لآخر. إنها عازمة على الذهاب إلى كلية الطب الآن. وقد أعربت عن هذه الرغبة فقط بعد العملية، وقد غيرت بالفعل القطاع الجامعي.

9-2 الصبي كارتر يحمل نفس صفات واهبه

يقول الدكتور شوارتز قمنا بزراعة قلب طفل اسمه جري مات غرقاً وعمره 16 شهراً بعد أن قررت أمه وهي طبيبة التبرع بقلبه لطفل عمره 7 أشهر يدعي كارتر كان يعاني من ثقب في الحاجز بين البطينين، ثم قامت أم المتبرع بمراقبة حالة الزرع جيداً، تقول هذه الأم: "إنني أحس دائماً بأن ولدي ما زال على قيد الحياة، فعندما أقترب من هذا الطفل الذي يحمل قلب ولدي أحس بدقات قلبه وعندما عانقني أحسست بأنه طفلي تماماً، إن قلب هذا الطفل يحوي معظم طفلي!" وعند ما رأني كارتر لأول مرة أسرع إلى وبدأ يحك أنفه بأنفي بالضبط كما كان يفعل معي ابني. لم أستمع فقط لقلب جري ولكني أحسست به وبطاقته وبما أنني طبيبة فقد تعلمت أن أكون دقيقة في ملاحظاتي لكن هذا هو الواقع وهو حقيقي. أعرف أن بعض الأشخاص

يشككون في ذلك لكن زوجي وأبي انتابهما نفس الشعور. وأؤكد لكم أن الأحاديث الطفولية لكارتير وطريقته في الكلام هي نفسها عند جري. تقول أم جري: "في إحدى زياراتنا لأهل كارتير وفي منتصف الليل جاء إلينا كارتير وطلب منا أن يضطجع بيننا ومن المفارقات الغريبة أن هذا ما كان يطلبه ابننا دائما فلم تنمالك من البكاء. لا يوجد عند زوجي وأنا وكل أفراد العائلة أدنى شك أن كارتير يحمل نفس صفات جري في قلبه. أم المتلقي تقول: "رأيت كارتير يجري إليها بسرعة وهذا مخالف لطبيعته فهو شديد الحياء وكان يناديها دائما أمي وكذلك فعل مع أبو جري عندما رآه أول مرة بالكنيسة فقد ترك يدي وذهب إلى ذلك الرجل الذي لم يكن يعرفه من قبل وجلس في حضنه. وتتابع قائلة يعاني كارتير منذ عملية زراعة القلب من تصلب ورجفة في الجانب الأيسر وفي حديثنا مع أم جري أخبرتنا أن ابنها كان يعاني من الشلل الدماغي الخفيف مما يؤثر على جانبه الأيسر. يقول أشوارتز بعد زرع هذا القلب لكارتير، بدأ القلب يمارس نشاطه على الدماغ وطوّر هذا الخلل في دماغ المتلقي إذن القلب هو الذي يشرف على عمل الدماغ، والخلل الذي أصاب دماغ الطفل المتوفي كان سببه القلب.

10-2 رجل يرى في منامه صورة قاتل واهبه

كان المتبرع ضابط شرطة يدعى كارل عمره 34 عاما أصيب برصاصة في رأسه أثناء محاولة القبض على تاجر مخدرات، أما المتلقي فهو أستاذ جامعي يدعى بن عمره 56 عاما كان يعاني من تصلب الشرايين القلبية. يقول المتلقي بن: "كنت أعرف فقط أن المتبرع كان رجل عمره 34 عاما في حالة

صحية ممتازة. وبعد بضعة أسابيع من العملية، بدأت أحلم أنني أرى شعاعا من الضوء يتجه صوب وجهي ثم أحسست بحرارته على وجهي كما رأيت رجلا له لحية كبيرة وشعر طويل ومنذ ذلك الحين لم تنقطع عني هذه الرؤيا، ليلا ولا نهارا .

تقول زوجة كارل "عندما التقيت بن وزوجته كيسي أغني على تقريبا شيء مدهش أن أرى هذا الرجل مع قلب زوجي في صدره . رأيت تقريبا كارل في عيون بن، لقد أطلق النذل النار على كارل في وجهه ولم يتسن للشرطة القبض عليه حتى الآن، رغم أن لديهم صورة له مرسومة باليد فهو ذو شعر طويل، وعيون غارقة، ولحية كثة ونظرة هادئة. وهذا بالضبط ما يراه بن في الحلم.

3- عشر حالات خارج إطار المتابعة العلمية

هناك أيضا مئات الحالات المشابهة والتي تحدث نتيجة زرع القلب لكن الأطباء في العالم رفضوا التعامل معها على الرغم من إلحاح المرضى لمعرفة من تبرع لهم وما هي صفاته، ولكن القوانين تمنع ذلك في كل الدول التي تتم فيها عمليات زراعة الأعضاء، ولذلك تبقى هذه الحالات غير مدروسة. لكن ورغم كل التشكيك والتعتيم على هذه الحقائق فهناك أشخاص استطاعوا بمجهوداتهم الخاصة الكشف عن شخصيات واهبيهم ثم كتبوا شهاداتهم أو تحدثوا عنها في برامج تلفزيونية موثقة ومعروفة :

1-3 كلير سيلفيا^[23] أول حالة تظهر للعيان

في يوم 29 مايو عام 1988 كان «تيم» - وهو شاب أميركي في الثامنة عشرة من عمره يقود دراجته البخارية حين اصطدم بسيارة على الطريق السريع ولقي مصرعه، وتمت زراعة قلبه وورثته فوراً في مستشفى انيوهافن لامرأة عمرها 47 عاماً تدعى «كلير سيلفيا» من بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية كانت مصابة بارتفاع ضغط الدم الرئوي الأساسي.

تقول كلير: "بعد يومين على العملية الجراحية جاءت الصحافة لتجري مقابلة معي وسألوني ماذا تريدان من العالم بعد هذه المعجزة؟ فأجبت على الفور أنني أتحرق شوقاً للحصول على كأس جعة مع العلم أنني لست من شاربى الجعة وقد أخرجني قليلاً جوابي الخاطف لهذا السؤال. هذه أول حادثة بالنسبة لي وشيئا فشيئا تطورت الأمور حتى شعرت بقناعة أنني كنت أعيش مع شخص آخر موجود في داخلي، أول شيء حدث لي هو تغير في تفضيل الطعام فلم أكن أحب الفلفل الأخضر لكنني أصبحت أحرص على وجوده في طعامي وفي أول مرة سمحوا لي بأكل اللحوم وجدت نفسي في مكان لبيع الدجاج المقلي الشيء الذي لم أقم به من قبل ووجدت أنني أكتب بيدي اليمنى بدلا من اليسرى".

ولأن القانون في الولايات المتحدة الأمريكية يحظر على المتلقي للعضو المزروع معرفة أي تفاصيل عن الشخص المتبرع، فإن كلير لم تخبر أي شيء عن صاحب القلب والرئتين، علمت فقط أنه شاب مات إثر حادث. لكنها وبعد بضعة أشهر من العملية تقول: "رأيت نفسي في الحلم مع شاب

فاستيقظت يعتريني شعور بأن هذا الشاب بالتحديد هو صاحب القلب كان اسمه في الحلم تيم أرل لذا فقد اتصلت بمنسقة التبرع بالأعضاء وسألتها هل كان ذلك هو اسم الواهب؟ تفاجأت ثم قالت كان اسمه تيم لاميراند".

بعد بحث طويل استطاعت الوصول لعنوان عائلته وعندما قابلتهم تأكد لها أن كل تجربة جديدة لديها مرتبطة إلى حد كبير بصاحب قلبها. أكد أفراد عائلة تيم أنه كان يحب الجعة والفلفل الأخضر وكانت قطع الدجاج موجودة في سترته عندما توفي وأصبحوا تواقين للحصول على أي شيء جديد يذكرهم بتيم حيث كانت كليز تعيش ذكرياته التي تتجسد في شخصيتها، لقد انتابها مشاعر عدة جراء تجربة العيش مع شخص آخر، لقد تغيرت كثيرا، وتواصلت أجزاءها مع أجزاء تيم وأصبحت بمثابة شخص ثالث، لذا أصبحت تصرفاتها أميل إلى التصرفات الذكورية، وكذلك عاداتها اليومية فقد أصبحت تميل إلى الوقوف في الشوارع والتسكع على النواصي. لقد كانت اكليز أول حالة تظهر للعامة وتحمل الذكريات والتغيرات التي تعود لصاحب قلبها، ولوجود قوانين صارمة للسرية فقد كان من المستحيل أن تعرف اكليز هذه التفاصيل عن واهبها فمن أين يمكن لهذه الذكريات أن تأتي؟

2-3 غراهام يلحد ويموت منتحرا على خطي واهب^[24]

نشرت جريدة ديلي ميل (2008/4/10) قصة مذهلة تؤكد بشكل كبير أن القلب له دور حاسم في الإيمان والكفر والمشاعر والإدراك أيضاً. تتحدث عن شاب ملحد مات منتحرا بمسدس في رأسه. ولكن قلبه بقي يعمل فقام

الأطباء باستئصاله قبل أن يتوقف عن النبض وتمت زراعته لمريض يدعى سوني غراهام مؤمن ويحب فعل الخير، كان لديه فشل في القلب، فرح كثيرا وشكر أهل الشاب المنتحر صاحب القلب الأصلي وبدأ حياة جديدة. وجاءت المصادفة ليلتقي بزوجة الشاب المنتحر فأحس على الفور أنه يعرفها منذ زمن، بل لم يخف مشاعره تجاهها، وهنا بدأ القلب يمارس نشاطه، فالشيء الذي أحس به هذا الرجل تجاه زوجة صاحب القلب الأصلي، يؤكد أن القلب لا يزال يحتفظ بمشاعره وأحاسيسه وذكرياته مع هذه المرأة! لينتهي بهم ذلك إلى الزواج لكن سوني غراهام لم يعد مؤمناً كما كان من قبل، بدأت ملامح الإلحاد تظهر عليه رغم أنه يحاول إخفاءها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وبدأ هذا القلب يعذبه، فلم يعد يحتمل الحياة فانتحر بالطريقة ذاتها التي انتحر بها الشاب صاحب القلب الأصلي، وذلك أنه أطلق رصاصة على رأسه فمات على الفور!!! وهذا ما أذهل الناس من حوله، فكيف يمكن لإنسان مؤمن يحب فعل الخير، كان سعيداً ومسوراً بأنه يساعد الناس والجميع يحبه، كيف انقلب إلى اليأس والإلحاد ولم يجد أمامه سوى الانتحار.

3-3 جيم من سائق شاحنة إلى شاعر^[25]

جيم هو أحد هؤلاء المرضى الذين جربوا تغيراً غريباً بعد أن تلقى قلب شاعر وكاتب لاحظت زوجته بابي هذا التغير على الفور، تقول: "لقد فاجأ الجميع وقد تمكنت من رؤية الاختلاف في عينيه لقد عاد إليهما اللمعان بعد العملية، وبدا مختلفاً تماماً".

يقول جيم عن نفسه: "تركت المدرسة وأنا في الخامسة عشر من عمري وكنت عامل فحم ومن ثم سائق شاحنة ولذا لم أحصل على تعليم جيد وبعد ستة أشهر من زراعة القلب، جلست في صباح يوم ما وبدأت أكتب. وأكتب فحسب، الأمر الذي أوصلني لكتابة عدة قصائد وتدوين ما أكتب في كتاب، وكما تعرفون فأنا لا أعرف من أين جاءت هذه الكتابة ولأكون صادقا معكم فأنا لم أقم أبدا بشيء كهذا من قبل لذا كان ذلك بمثابة مفاجئة بالنسبة لي"، تقول زوجته في مقابلة معهم موثقة ومنشورة على الأنترنت: "قبل زراعة القلب لم يكن لديه أي موهبة إبداعية ولم يكن يهتم كثيرا بالكلام العاطفي لم يكتب على الإطلاق أي كلمة من قبل". بعد أن بدأ جين بكتابة الشعر تلقى رسالة من عائلة الواهب احتوت على أسطر من الشعر، لقد كان التشابه كبيرا جدا بين ما يكتبه جين وبين الشعر الذي كان يكتبه واهبه.

4-3 بيل ووهي يكتسب شخصية مميزة [26]

بيل ووهي أجرى عملية زراعة قلب وبعد مضي أشهر كان تغيره لافتا يقول: "إني محظوظ لأنني وجدت قلب شخص يتمتع بصحة مثالية وذا شخصية قيادية ومظهر جيد"، لقد شعر بيل أن هناك شخصية جديدة تماما تقوده. كان الدكتور جاك كوبلاند الجراح الذي زرع له القلب يقول لقد تحول بيل في غضون أشهر إلى رياضي ولم نكن نتوقع أن هذا سيحصل له ولكنه حصل بدأ يركب الدراجة ويسبح بنشاط كبير. فبعد أشهر فقط من عملياته

بدأ يتدرب بشكل منفرد لكنه لم يقابل عائلة واهبه إلا بعد سنة كاملة حيث اكتشف أنه يعني أشياء مشابهة لواهبه.

يقول بيل ووهي: "أعرف أشياء محددة لم أوليها اهتماما من قبل لابد أنها جاءت من مكان ما وأنا واثق أنها جاءت من واهبي"، كان يريد واهب بيل يعمل بهلواني في هوليدود، ولم تعن الاهتمامات الجديدة شيئا لبيل إلا عندما قابل عائلة واهبه لقد اقتنع بأنه ورث سجايا عدة من خلال قلب واهبه، لذا يقول: "على الرغم من وجود جزء منه معي طيلة الوقت فلم أحظ بشرف لقائه ولهذا فقد أردت أن أعرف عنه الكثير، بعد لقائه بكريس شقيق ابريد بعد سنة من العملية تأكد لبيل أن تغيير شخصيته العميق قد جاء مع قلبه الجديد.

5-3 دانيال يتسلق الجبال [27]

ولد دانيال مصاب بمرض خلقي وراثي حيث تتأثر الرئتان بسهولة ويصعب التنفس ولم يكن أمله في الحياة كبيرا حين حصل على قلب شاب مرح ومغامر يدعى كايل تقول أمه جانيس "كان كايل مغامرا وكان يتمنى أن يصبح مظليا".

يقول دانيال: "لقد تغيرت حياتي بعد زراعة القلب بشكل تام وبكل معنى الكلمة وبدأت بممارسة أنواع من الرياضة لم أكن قادرا على ممارستها من قبل عندما كنت طفلا لم تكن الرياضة شيئا مثيرا بالنسبة لي، والحقيقة أنني لم أكن قادرا على القيام بها وأنا الآن أقوم بأشياء جديدة علي. كنتسلق الصخور. كما أن هناك دلائل على أن بعض عواظفي قد جاءت من واهبي

فلم يكن ذلك ليزعجني على الإطلاق فأنا أعتبرها عواطف وحسب." تقول أم دانيال: "إنه الآن يعيش حياة لم نكن نعتقد أنها ممكنة بالنسبة له"

6-3 طفلة تصف قاتل واهبتها^[28]

طفلة في الثامنة من عمرها زرع لها قلب طفلة في العاشرة من عمرها ماتت مقتولة، وبعد أن تمت عملية نقل القلب، بدأت الكوابيس تهاجم الطفلة أثناء نومها، وكان أكثر ما يزعجها ذلك الكابوس الذي ترى فيه رجلاً يقتلها، ولما تكرر الكابوس من نفس الشخص والحدث، أخذتها أمها إلى طبيب نفسي وروت له الكابوس الذي يؤرقها وبعد عدة جلسات اكتشف الطبيب أن ما تقوله ليس نوعاً من الهذيان أو الهلوسة، وإنما هي تصف حقائق، وبالتالي فقد أفنح الطبيب الأم والطفلة أن يذهبا لكي يبلغا الشرطة بأوصاف هذا الشخص الذي تراه في المنام، وبالفعل من خلال وصف الطفلة الدقيق لملامح هذا الرجل تم رسم صورة تقريبية له، وتم القبض عليه واعترف بارتكابه للجريمة. بنفس الطريقة كما رأتها الطفلة في منامها بالضبط، وبنفس الملابس والسلاح وفي نفس التوقيت والمكان الذي وصفته للطبيب النفسي، فمن أين أتت هذه الذاكرة الفوتوغرافية التي مكنتها من معرفة كل هذه المعلومات سوى من ذاكرة خلايا القلب المزروع؟.

7-3 شارلوت تتعرف على أماكن لم تزرها من قبل^[29]

الممثلة الفرنسية شارلوت فالاندري وبعد أن أجريت لها عملية زراعة قلب كانت ترفض رفضاً تاماً أن قلبها حمل لها أي شئ من واهبتها وذلك في عدة

مقابلات لها في التلفزيون شاهدت إحداها حين ما كانت تشارك في حملة لتوعية الناس حول أهمية التبرع بالأعضاء. لتتراجع عن ذلك بعد ما بدأت ترى أحلاما وكوابيس، وفي سفر لها إلى الهند وجدت أنها تعرف بعض الأماكن وكأنها زارتها من قبل رغم أنها كانت أول زيارة لها للهند. وقد تزوجت بزوج واهبتها الذي لم يخبرها رغم معرفته بأنها تحمل قلب زوجته لتكتشف ذلك بالصدفة، هذا كله دونته في كتابها القلب المجهول. الذي ذكرت فيه قصتها مع القلب الجديد وما حدث في حياتها من تغيرات لتظهر بعد ذلك في الإعلام وتقول بأن كل هذا كان له علاقة وثيقة بحالة واهبتها.

8-3 باتريسيا تقشعر لسماع الأغنية المفضلة عند واهبتها

المتبرعة تايلور فتاة في الثالثة عشر من عمرها توفيت وهي تمارس رياضة التزلج على الجليد. زرع قلبها لباتريسيا^[30] بأريزونا، تقول بعد عشرة أيام من العملية سمعت أغنية فأخذتني قشعريرة وأحسست بلهفة وشوق لسماعها وإهدائها لمن تبرعت لي بقلبها رغم أنني لم أسمع بهذه الأغنية من قبل إلا أنني علمت فيما بعد أنها كانت الأغنية المفضلة عند تايلور وقد وضع أصدقاؤها على اليوتيوب تسجيلها لها وهي تحاكي هذه الأغنية.

9-3 فتاة تشتم وتلكم بعد أن كانت تكره العنف^[31]

طالبة في علم النفس لديها فشل في عمل القلب منذ الولادة كان عمرها ثمانية وعشرون عاماً عندما تلقت قلب ملاكم مات حديثاً. وجد الأطباء أنه هنالك تغييرات في شخصيتها فعلى سبيل المثال: كانت لا تحب الألعاب

الرياضية أبداً، وبعد أن تمت زراعة القلب لها أصبحت من المتابعين لكرة القدم والملاكمة. وصارت تلکم وتشتم رغم هدوئها سابقا وهناك أنواع من المأكولات لم تكن ترغب في تناولها، وبعد العملية أصبح لديها ميل شديد باتجاه هذه الأطعمة. وهناك تغييرات كثيرة حدثت لهذه الفتاة.

10-3 متلقي يرى في المنام واهبه ويصف له شخصيته^[32]

رأى أحدهم واهبه في منامه ووصف له شخصيته وكيف عاش في الحياة وعندما واجه ذلك المتلقي الأطباء الذين يخفون حسب القانون مصدر القلب الذي يحمله صعقوا وأصيبوا بالذهول لدقة المعلومات التي أخبرهم بها ولمعرفتهم الوثيقة باستحالة اطلاعه عليها دون علم بمصدر قلبه فأذعنوا في النهاية لطلبه وكشفوا له كل التفاصيل مما أسعده جدا وكان وصفهم لواهبه كأنه مخطط كامل لتركيب كيانه الجديد فقد وجد أن ميوله الجديدة غالبا ما تكون مناقضة تماما لميوله السابقة.

4- حالت أخرى:

أحدهم انهمك في الرياضة رغم كرهه الشديد السابق لها، والآخر شرع في تسلق الجبال رغم خوفه سابقا من السقوط وهو واقف في مكانه، وغيره تعلق بشغف بالسباحة والغوص في البحر رغم تخوفه الشديد السابق من الغرق، وآخر باشر بعزف الموسيقى وتأليف السمفونيات رغم عدم معرفته في السابق بالموسيقى، وآخر أصبح ودودا بشكل مبهر رغم انطوائه الشديد في السابق، وشاب خرج من عملية زراعة القلب وهو يستخدم كلمة غريبة

بصفة مستمرة واكتشف لاحقا في مقابلة مع زوجة المتبرع أن هذه الكلمة كانت كلمة سر اخترعاها بينهما تعني أن كل شيء على ما يرام، وأحدهم أصبح بعد العملية يحب التنظيف والطبخ والتسوق، وهذه الأعمال كان يكرها قبل العملية وغيرهم كثيرون لم يعطوا اهتماما للتغيرات التي طرأت على شخصياتهم وعلى تفضيلاتهم أو جهلوا الأسباب التي أدت إلى ذلك، كل هذا يعني أن زراعة القلب ليست مجرد عملية نقل عضو من شخص إلى آخر، بل هي عملية نقل جزء من عواطفه ومزاجه وذكرياته وطباعه إلى المتلقي، التفسير المنطقي لهذا هو أن الدماغ يقوم بتخزين المعلومات بصفة دائمة أي أنه ذاكرة طويلة الأمد أما القلب فيحوي ذاكرة قصيرة الأمد يُحمل فيها وبصفة لحظية المعلومات الأساسية لحياة الإنسان والمرتبطة بشخصيته وتفضيلاته وما يحب وما يكره وبمعتقداته حيث يستخدم القلب هذه المعطيات للإشراف على جميع ما نقوم به، وهو الذي يوجه الدماغ في عمله، أي أن الدماغ يتلقى الأوامر من القلب قبل القيام بأي عمل إرادي، وبالتالي عندما تتم زراعة القلب لشخص ما، فإن آخر المعلومات المحملة في هذا القلب تنتقل معه إلى المتلقي.

5- القلب الصناعي:

القلب الصناعي هو عبارة عن جهاز يتم غرسه في الصدر بجوار القلب الأصلي أو على جزء منه إذ لا يمكن وجود القلب الصناعي بدون وجود بقية من القلب الحقيقي. ويعمل القلب الصناعي ببطارية يحملها المريض بشكل دائم ويستبدلها كلما نفدت، هذا الجهاز أشبه بمضخة تضخ الدم وتعمل

باستمرار، وإذا وضعت رأسك على صدر هذا المريض فلا تسمع أي دقات بل

تسمع صوت محرك كهربائي!

إن أول قلب صناعي تمت زراعته في عام 1982 وعاش المريض به 111 يوماً،

ثم تطور هذا العلم حتى تمكن العلماء في عام 2001 من صنع قلب صناعي

يدعى "آبيوكبر" وهو قلب متطور وخفيف يبلغ وزنه أقل من كيلو غرام

(900 غرام) تمت زراعته لمريض أشرف على الموت، وعاش به أربعة أشهر،

ثم تدهورت صحته وفقد القدرة على الكلام والفهم، ثم مات بعد ذلك. كما

أكدت إدارة الدواء والغذاء الأمريكية أن القلب الاصطناعي قد فشل، لأن

المرضى الذين تمت لهم إجراء عمليات زراعية لقلب اصطناعي ماتوا بعد

عدة أشهر بسبب ذبحة صدرية مفاجئة. وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة

والتطور الهائل فشل الأطباء في اختراع قلب اصطناعي يستطيع تحديد

كمية الدم اللازمة حسب الجهد المبذول، وهذا أبسط عمل للقلب

الطبيعي، وأحدث ما تم اختراعه من أجل ضخ كمية من الدم أكبر حسب

الجهد المبذول هو إضافة جهاز تحكم يدوي كلما أراد المريض مثلاً أن يبذل

جهداً، يضغط على زر في هذا الجهاز فتزيد كمية الدم التي يضخها قلبه

الاصطناعي. ولكن كيف يمكن لهذا المريض أن يتحكم بمشاعره، فإذا أراد

أن يخاف يجب عليه أن يدير زر التحكم بكمية الدم ليضخ القلب

الاصطناعي كمية أكبر تتناسب ودرجة الخوف، وإذا أراد أن يحزن أو يفرح

أو يقوم بأي انفعال وجب عليه تعديل كمية الدم، وبالنتيجة إن صاحب

القلب الصناعي يفقد المشاعر بشكل كامل! جميع المرضى الذين استبدلت

قلوبهم بقلوب صناعية، فقدوا الإحساس والعواطف والقدرة على الحب! ففي 2007/8/11 نشرت جريدة واشنطن بوست تحقيقاً صحفياً حول رجل اسمه بترهوكتون أُجريت له عملية زراعة قلب اصطناعي، يقول هذا المريض: "إن مشاعري تغيرت بالكامل، فلم أعد أعرف كيف أشعر أو أحب، حتى أحفادي لا أحس بهم ولا أعرف كيف أتعامل معهم، بل عندما يقتربون مني لا أحس أنهم جزء من حياتي كما كنت من قبل". أصبح هذا الرجل غير مبال بأي شيء، لا يهتم بالمال لا يهتم بالحياة، لا يعرف لماذا يعيش، بل إنه يفكر أحياناً بالانتحار والتخلص من هذا القلب المشؤوم! لم يعد هذا الإنسان قادراً على فهم العالم من حوله، لقد فقد القدرة على الفهم أو التمييز أو المقارنة، كذلك فقد القدرة على التنبؤ، أو التفكير في المستقبل. حتى إنه فقد الإيمان بالله، ولم يعد يبالي بالأخرة كما كان من قبل!! ومع كل هذا التطور العلمي وما خصص من أموال طائلة لهذا المجال وبعد عشرين سنة من العمل المتواصل والمضني، توصل أطباء من فرنسا في سنة 2012 إلى اختراع نصف قلب اصطناعي تم تركيبه على نصف القلب السليم، وأحدث هذا الاختراع ضجة إعلامية كبيرة ما فتأت أن خمدت لأن هذا المريض الذي استقبل هذا القلب الاصطناعي. لم يعيش أكثر من شهر.



الرسم 23: عملية زراعة قلب اصطناعي لمريض

الصورة التالية تظهر رجلا يعيشان بقلوب اصطناعية وهما يرتبطان بشكل دائم بأجهزة وبأشرطة من أجل تغذية البطارية الموجودة بالداخل.



الرسم 24: صورة لرجلان يعيشان بقلوب اصطناعية

كل هذا يثبت ما للقلب من دور كبير في التفكير وفي ردود الأفعال وكذلك في توجيه الدماغ. يقول العلماء إن الخلل الكبير في الإدراك والفهم الذي يعاني منه صاحب القلب الاصطناعي يؤكد بأن القلب له دور أساسي في الفهم والإدراك، وأنه ليس مجرد مضخة، بل هو أكثر تعقيداً مما نتصور!

المحور الثاني: القلب في القرآن المطعم

تمهيد:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿سُرُّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53]

كل ما توصلت له العلوم الحديثة وما ستتوصل إليه من حقائق جاء ذكره سابقا في القرآن العظيم فهو كلام الله خالق الأكوان والإنسان، فعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتاب الله فيه خير ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم" رواه الترمذي. وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: قال عبد الله: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره وقال عمر: تعلموا كتاب الله تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله. وعن وكيع أن عبد الله قال: من أراد العلم فليقرأ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين. هذا القرآن يؤكد في كثير من آياته مما لا يدع مجالا للشك أن القلب هو مركز العاطفة، والتفكير، والعقل، والذاكرة وهو مركز الفهم والإدراك في الإنسان وهو محور الحب والكراهية ومحور الخوف والسعادة والقلق والارتباك والطمأنينة. حيث جاء ذكر القلب والصدر

والفؤاد بالإفراد والجمع ومع عدد من الضمائر المختلفة في القرآن الكريم 192 مرة. موزعة كالتالي: 132 مرة بصيغة القلب و 16 مرة بصيغة الفؤاد و 44 مرة بصيغة الصدر. أما كلمة الدماغ فما وجدت لها ذكرا بصفة بينة في القرآن العظيم على الإطلاق.

تم في هذا المحور إحصاء جميع الآيات الواردة في القلب والصدر والفؤاد مع كثيرا من الأحاديث التي تؤكد معانيها وتفسير بعض هذه الآيات اعتمادا على توفيق الله تعالى ثم على تفسير جمع كبير من المفسرين، وكانت مفاجأتي كبيرة حين قرأت بعض الحقائق الواردة في هذه التفاسير عن القلب لم يكتشفها العلم الحديث إلا منذ سنوات فقط. وهذا مصداق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ وَكَرُّوا رُدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]

ينقسم هذا المحور حسب الصفات الواردة في القرآن العظيم للقلب والصدر والفؤاد والبالغة أكثر من 50 صفة وبعض أبرز الصفات الواردة في السنة النبوية إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الصفات العامة كالمخاطبة والعلم والعقل.... إلى غير ذلك.

الفصل الثاني: الصفات الحميدة للقلب من إيمان وهداية ورحمة... إلخ

الفصل الثالث: الصفات المذمومة من مرض وقسوة وكبرياء.... إلى آخره.

الفصل الأول: صفات عامة

هناك الكثير من الآيات تصف القلب بأنه هو المخاطب وأنه موضع التمييز والاختبار وهو محل النية والكسب والعمد (التصرفات الإرادية) ومركز الإدراك والفهم وأنه هو محل الكتمان والإخفاء ومحل الخوف والرعب إلى غير ذلك من الصفات العامة التي وصف الله تبارك وتعالى بها القلب الذي في الصدر وليس الدماغ الذي في الرأس.

1- المخاطبة والتكليف

أعظم صفة وصف الله تبارك وتعالى بها القلب هي صفة المخاطبة وانزال الوحي عليه، حيث أورد في سورتى البقرة والشعراء أنه أنزل الوحي بالقرآن العظيم على قلب نبينا وحبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم. فقال تبارك وتعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة 97].

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 194]
أورد أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي^[33] (المتوفي سنة 606هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي: "على قلبك" أي فهمك إياه وأثبتته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى: {سنقرئك فلا

تنسى} وفيه قولان: الأول: أنه إنما قال: {على قلبك} وإن كان إنما أنزله عليه ليؤكد به أن ذلك المنزل محفوظ للرسول متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيوثق بالإندار الواقع منه الذي بين الله تعالى أنه هو المقصود. ولذلك قال: {لتكون من المنذرين} . الثاني: أن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختبار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له والدليل عليه فمن وجوه. أحدها: أن القلب إذا فرح أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك، وكذا القول في سائر الأعراض النفسية. وثانيها: أن القلب منبع المشاق الباعثة على الأفعال الصادرة من سائر الأعضاء وإذا كانت المشاق مبادئ للأفعال ومنبعها هو القلب كان الأمر المطلق هو القلب. وثالثها: أن معدن العقل هو القلب وإذا كان كذلك كان الأمر المطلق هو القلب. ورابعها: وهو أنا إذا جربنا أنفسنا وجدنا علومنا حاصلة في ناحية القلب، ولذلك فإن الواحد منا إذا أمعن في الفكر وأكثر منه أحس من قلبه ضيقا وضجرا حتى كأنه يتألم بذلك، وكل ذلك يدل على أن موضع العقل هو القلب، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المكلف هو القلب لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم. وخامسها : وهو أن القلب أول الأعضاء تكونا، وآخرها موتا، وقد ثبت ذلك بالتشريح ولأنه متمكن في الصدر الذي هو أوسط الجسد، ومن شأن الملوك المحتاجين إلى الخدم أن يكونوا في وسط المملكة لتكتنفهم الحواشي من الجوانب فيكونوا أبعد من الآفات.

كما يؤكد هذا ما ذكره أهل السير وجاء في الأحاديث الصحيحة من شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات: الأول في طفولته عند حليلة ليزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والحديث في ذلك ثابت في الصحيح أخرجه مسلم وغيره ولفظ مسلم: عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئيره- فقالوا إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: أرى أثر المخيط في صدره). والظئير المرصعة وهي هنا حليلة كما هو معلوم. أما الثانية فعند مبعثه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي وفي أكمل الأحوال من التطهير قال الحافظ في الفتح عند شرحه لحديث باب المعراج من البخاري قال: وثبت شق الصدر عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل. والثالثة: عند الإسراء والمعراج ليتأهب للمناجاة. قال الحافظ ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم وقد ثبتت هذه المرة في الصحيحين وغيرهما. وقال عبد العزيز اللمطي في نظمه قرّة الأبصار:

وشق صدر أكرم الأنام * وهو ابن عامين وسدس العام

وشق للبعث وللإسراء * أيضاً كما قد جاء في الأنباء

كما أن القلب هو محل نظر الله تبارك وتعالى من العبد فقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم)).

2- العمد والكسب (النية)

القلب هو محل القصد والنية واتخاذ القرارات وهو الذي يقوم بتوجيه الدماغ لأداء مهامه ومن خلاله جميع تصرفات الإنسان الإرادية التي تنطلق من القلب أولاً، ولهذا فإن الله تبارك وتعالى لا يؤاخذ الناس إلا بما عزموا عليه وقصدوه بقلوبهم، يقول عز من قائل في سورة الأحزاب: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 5] أي ما قصدتموه وتعمدته قلوبكم بعد النهي هو الذي تؤاخذون به.

ويقول جل شأنه في سورة البقرة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 225] يقول أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري^[34] (ت 310هـ) في جامع البيان عن تأويل أي القرآن: بما كان في قلبك صدقا وأخذك بهن، وإن أئمت.

إن الله تعالى أوعد عباده أن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم من الأيمان، أي ما قصدته، وعزمت عليه على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده. وهذا فيه دليل واضح أن القلب هو محل النية ومنطلق الأعمال الإرادية.

ويقول الله تبارك وتعالى في علاقة القلب واللسان وأن القلب هو المتحكم: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة 8]

ذكر أبو الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي ^[35] (ت 597هـ) في تفسيره زاد المسير في علم التفسير. {يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم} يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: يرضونك بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر. والثاني: يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية. والثالث: يرضونكم بأفواههم في الوعد بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك.

إذن مهما قال اللسان مما هو مخالف لما في القلب لا أهمية له لأن القلب هو ملك الأعضاء وهو المقرر الأول والأخير ولذا فإن القلب هو المسؤول، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء 36]

يقول **يحيى بن سلام، بن أبي ثعلبة التيمي البصري**، ^[36] (ت 200هـ) رحمه الله: {كان عنه مسئولاً} يسأل السمع على حدة عما سمع، ويسأل البصر على حدة عما بصر، ويسأل القلب عما عزم عليه.

3- العلم والحفظ

يتحدث الباحثون عن الخلايا العصبية الموجودة في القلب ودورها في التعلم، وهذا يعتبر من أحدث الأبحاث التي نشرت مؤخراً، حيث أثبتوا في هذه الأبحاث أن للقلب دوراً مهماً في العلم والتعلم عن طريق نظرية التغذية الراجعة والذاكرة الخلوية، أما القرآن فيربط بين القلب والعلم في عدة آيات ، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49].

يقول محمد متولي الشعراوي^[37] (ت 1418هـ) رحمه الله {هو} أي: القرآن { في صدور} ولم يقل مثلاً: في ذاكرتهم لأن الأذن تستقبل الكلام وتعرضه على العقل فإن قبله يستقر في القلب وفي الصدر وفيه يتحول إلى عقيدة وإلى يقين لا يقبل الشك ولا يتزحزح. لذلك يقول تعالى عن القرآن: {نزل به الروح الأمين على قلبك} [الشعراء 193 و194] فقال { على قلبك}أي : مباشرة استقر في قلبه، ولم يقل على أذنك. لأنه محفوظ في الصدور، ليس على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظاً ومعنى؛ ولهذا جاء في الكتب المتقدمة، في صفة هذه الأمة: " أناجيلهم في صدورهم "

ويقول تعالى كذلك في سورتى الأحقاف والنحل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا

أَبْصَارُهُمْ وَلَا أْفِدْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿﴾ [الأحقاف: 26]

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]

يقول أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي^[38] (ت 333هـ) في مؤلفه تأويلات أهل السنة للماتريدي: في قوله تعالى: {وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة}: فمن قدر على جعل السمع حتى تسمع الأصوات، ويميز بينها وجعل البصر والتمييز بين ألوان الأجسام والفؤاد ليفهم، ويعقل ما له وما عليه، ثم ذكر على إثر قوله: {لا تعلمون شيئا}. فذلك يدل على أن هذه الأشياء السمع والبصر والأفئدة من أسباب العلم وبها يتوصل إلى العلم بالأشياء فمن أعطي أسباب العلم بالشيء فكأن ما قد أعطي العلم به، والله أعلم.

إذن العلم له وسائل كثيرة، فالمعلومات كلها تنشأ عند الإنسان إما بالأذن مما يسمع، وإما بالعين مما يرى، ثم بعد ذلك تستقر كل هذه المعاني في الفؤاد وهو القلب كما سنوضح لاحقاً. ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 59].

يقول أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الشربيني^[39] (ت 977هـ)، مفسر، من فقهاء الشافعية في تفسيره السراج المنير في الإعانة على

معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: { يطبع الله } أي الذي له العظمة والكمال { على قلوب الذين لا يعلمون } توحيد الله، فإن قيل: من لا يعلم شيئاً أي فائدة في الإخبار عن الطبع على قلبه؟ أجيب: بأن معناه أن من لا يعلم الآن فقد طبع على قلبه من قبل. يقال للسيف إذا جرب وصدى: قد طبع السيف وهو أشد الصداً.

4- الفقه والفهم

الفقه هو العلم بالشيء والفهم له وقد بين الله تبارك وتعالى أنه عند كثير من الجن والإنس منفي عن محله وهو القلب الذي يفقه الأشياء قبل أن يرسلها الى الدماغ ليخزنها كما بينا سابقاً في المحور الأول يقول الله تبارك و تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]

ورد بتفسير المنار لمؤلفه محمد رشيد بن علي رضا^[41] (ت 1354هـ): الفقه: قد فسروه بالعلم بالشيء والفهم له- وقالوا فقه فقاهاة أي صار الفقه وصفاً وسجية له، قال السيوطي الفقه أخص من العلم.

يقول الطبري: معنى {هَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} أي لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حججه لرسله، فيعلموا توحيد ربهم،

ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم. وكذلك قوله: وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بها معناه: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم أعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها. والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له، ومنه قول مسكين الدارمي:

أَعَى إِذَا مَا جَارَتِي حَرَجْتَ *** حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي السَّتْرُ

وَأَصَمَّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا *** سَمِعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَفْرِ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم. ومنه قول الآخر:

وَعَوَزَاءِ اللَّثَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا *** وَإِنِّي لَوْ أَشَاءُ بِهَا سَمِيعُ

5- القلب محل العقل

يتحدث العلماء اليوم جدياً عن دماغ موجود في القلب يتألف من أكثر من أربعين خلية عصبية وهو الذي يقوم بتوجيه الدماغ الذي في الرأس لأداء مهامه وهذا ما أكده القرآن العظيم في عشرات الآيات، والسنة النبوية في أحاديث صحيحة كلها مطبقة على أن محل العقل هو قلب الإنسان لا دماغه حيث يقول الله تبارك وتعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]

القرآن دقيق في كلماته فقال {قلوب يعقلون بها}. فالذي يفهم ويعقل هو القلب وليس الدماغ كما اعتدنا أو عودنا. كما أن الله جل وعلا حدد في هذه الآية مكان هذا القلب حتى لا يقع لبس عند أي أحد.

يقول محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ^[42] (ت 1393هـ) رحمه الله فيما ورد عنه في العذب النмир من مجالس الشنقيطي: صرح القرآن بأن العقل والإدراك بالقلوب لا بالأدمغة، ولو كان الإدراك ليس في القلب الذي في الصدر لما كان له عى ولا إبصار، ولم يقل الله يوما ما : ولكن تعى الأدمغة التي في الرؤوس . لم يقل هذا أبدا، وإنما قال : { ولكن تعى القلوب التي في الصدور} وقال جل وعلا : { ولهم قلوب لا يفقهون بها } فبين أن الفقه منفي عن محله الذي يفقه به وهو القلب، والنبى صلى الله عليه وسلم قال : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله) ثم فسرها صلوات الله وسلامه عليه فقال : (ألا وهي القلب) . ولم يقل : (ألا وهي الدماغ) . والآيات القرآنية والأحاديث النبوية طافحة بهذا. والغريب أنك ترى عامة من ينسبون للإسلام يضربون بهذه النصوص عرض الحائط، ويزعمون كلهم بأن مركز العقل هو الدماغ! ونحن نعلم أن الله هو الذي خلق العقل، وهو الذي وضعه في محله، ولا شك أن من خلقه وأبرزه من العدم إلى الوجود، ووضعه في محله أنه أعلم بمحله من الملاحظة الذين يبرهنون على ما يزعمون بفلسفات قد لا تكون مينة على مقدمات

يقينية، ولا ينبغي للمسلم أن يضرب بالقرآن عرض الحائط . فالآيات القرآنية لا تكاد في المصحف تحصيها دالة على أن العقل في القلب ؛ لأنه دائما يذكر القلوب ويجعل الإثم مكانه القلب، والتقوى مكانه القلب فالله، يقول: { ومن يكتمها فإنه أثم قلبه } [البقرة: آية 283] [ولم يقل: (إنه أثم دماغه)!! وقال جل وعلا: { ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب 32 } [الحج: 32] ولم يقل: (من تقوى الأدمغة). وأما الذين يقلدون الملحدين فهم على نوعين: من جاء منهم بطريق لا تكذب القرآن فما علينا منه، ومقالته لا نتعرض لها؛ لأن كل ما يصعب علينا هو ما يعارض نصوص السماء التي أنزلها خالق السموات والأرض، فإذا جاء بما يخالفه مخالفة قطعية وجب علينا أن نرد عليه ونكذبه. وهنا تجب مسألة: يجب على المسلمين أن يتحفظوا كل التحفظ من أن يحملوا القرآن ما لا يحتمله، فعلينا أن لا نقول: إن الله قال في كتابه هذا إلا بعد اليقين الجازم والتحري العظيم، خوفا أن يكون ذلك الظاهر الذي نفهمه غير المراد فنقول على الله بغير الحق، ويكون الحق عند غيرنا. هذا أمر يجب أن يتحفظ منه. ولكن الآيات القرآنية الدالة على أن العقل في القلب لا تكاد تحصيها، وهو أمر قطعي لا نزاع فيه. أما الذين قالوا من الفلاسفة: إن مركز العقل مثلا هو القلب، ولكن نوره الروحاني أو شعاعه يمتد ليصل إلى الدماغ، من قال بهذا فما علينا منه، وقد يمكن أن يكون صادقا، ولم يأت بما يخالف نصوص ربنا، فلو قال هذا فهو

أهون. أما الذي يقطع علاقة العقل بتاتا بالقلب، ويقول: كله في الدماغ فهذا الذي نقول له: كذاب، كذاب، كذاب؛ لأن الله يقول: إنه في القلب. وهذه الفكرة أن شعاعه يتصل بالدماغ، وأنه يبين هذا وهذا، فمن قال في القلب فقد صدق، كما جاء به الوحي، ومن قال في الدماغ بهذا الاعتبار فقد صدق لاتصال نوره به، من قال هذا فقله أهون، والمسألة على قوله أسهل؛ لأنها لا تستلزم تكذيب قول الله تبارك وتعالى. جمع بعض العلماء بين قول أهل السنة وقول الفلاسفة بأن قال: إن أصل العقل في القلب كما في الكتاب والسنة، إلا أن نوره يتصل شعاعه بالدماغ. واستدلوا على هذا بدليل استقرائي عادي، قالوا: بالعادة المطردة والاستقراء أنك لا تجد رجلا طويل العنق طولا مفرطا إلا كان في عقله بعض الدخل؛ لبعد ما بين طرفي شعاع نور عقله.

ما ذكره الشيخ رحمه الله عن نور القلب واتصاله بالدماغ يقترب كثيرا مما أوردناه في المحور الأول عن تواصل القلب مع الدماغ عبر المجال

الكهرومغناطيسي وغيره من الطرق رغم عدم معرفة الشيخ بهذا المجال.

كما أورد أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الله شهاب الدين^[43] (ت 898 هـ)، المشهور بالقرافي، مفسر، من علماء المالكية في تفسيره جهود الإمام القرافي: مذهب مالك أن العقل في القلب، لقوله تعالى: { لهم قلوب يعقلون بها } وعليه أكثر الفقهاء وأقل الفلاسفة. ولم يذكر الدماغ قط في هذه المواضع، فدل على أن محل العقل هو القلب لا الدماغ،

وفي رد للشيخ ابن عثيمين رحمه الله على سؤال: هل العقل في الدماغ أم في القلب؟ قال: هذه مسألة أشكلت على كثير من النظائر الذين ينظرون إلى الأمور نظرة مادية لا يرجعون فيها إلى قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وإلا فالحقيقة أن الأمر فيها واضح أن العقل في القلب وأن القلب في الصدر وأستدل بهذه الآية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْيَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْيَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46) ولم يقل القلوب التي في الأدمغة فالأمر فيه واضح جدا أن العقل يكون في القلب ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) فما بالك بأمر شهد به كتاب الله وهو الخالق العالم بكل شيء وشهدت به سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. إن الواجب علينا إزاء ذلك أن نطرح كل قول يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن نجعله تحت أقدامنا وأن لا نرفع به رأسا، إذا القلب هو محل العقل ولا شك ولكن الدماغ محل التصور ثم إذا تصورها وجهزها بعث بها إلى القلب ثم القلب يأمر أو ينهى فكأن الدماغ سكرتير يجهز الأشياء ثم يدفعها إلى القلب ثم القلب يأمر أو ينهى وهذا ليس بغريب {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}.

وهذا الرد مطابق لما اوردنا سابقا في مقارنة كيفية عمل القلب وعمل المعالج والذاكرة الحية في الكمبيوتر. ثم يقول تعالى تأكيدا لارتباط القلب

بالعقل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

يقول الماتريدي في تفسير {من كان له قلب} ينتفع به في التأمل والنظر، وإنما كَتَى بالقلب عن العقل، لأن الناس اختلفوا قال بعضهم: إن القلب محلّ العقل، وقال بعضهم: محلّه الرأس، لكن نوره يصل إلى القلب، فيُبصر القلب الأشياء الغائبة بواسطة العقل، فذلك كَتَى بالقلب عن العقل لمجاورة بينهما، وهو شائع في اللغة. وقوله تعالى: {أو ألقى السمع وهو شهيد} أي يستمع، وهو شاهد سمعه وقلبه وأصله أن القلب جعل للوعي والحفظ بعد الإدراك والإصابة. ثم أصل ما يقع به العلم والفهم شيئان: أحدهما: التأمل والنظر في المحسوس. والثاني: أن يُلقى إليه الخبر، وهو يستمع له؛ فكأنه يقول، والله أعلم: {إن في ذلك لذكري لمن كان له قلب} يطلب الرشد والصواب، وينظر، ويعي، ويحفظ. ويحتمل: {أو ألقى السمع} أي يستمع لما ألقى عليه، وهو شاهد السمع والقلب، فتكون الذكرى لمن اقتص بهاذين أو انتفع بهاذين الصنفين للتأمل، فيرى بالعقل محاسن الأشياء ومساوئها، أو يستمع حقيقة ذلك بالسمع، فيتذكّر، والله أعلم.

أما أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي^[44] (ت 671هـ) رحمه الله فيقول في تفسيره الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من

السنة وآي الفرقان: {إن في ذلك لذكرى} أي فيما ذكرناه في هذه السورة تذكرة وموعظة {لمن كان له قلب} أي عقل يتدبر به، فكفى بالقلب عن العقل لأنه موضعه، يقول امرؤ القيس:

أَعْرَكْ مَنِي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي *** وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ
ويقول عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي^[45] (ت

911هـ) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: أخرج الفريابي وابن جرير عن مجاهد في قوله {أو ألقى السمع} قال: لا يحدث نفسه بغيره {وهو شهيد} قال: شاهد بالقلب. وأخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب في قوله {أو ألقى السمع وهو شهيد} قال: يستمع وقلبه شاهد لا يكون قلبه مكاناً آخر.

يقول حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري^[40] (ت 505هـ) رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} (ق: 37) ومعنى كونه ذا قلب: أن يكون قابلاً للعلم فهما، ثم لا تعيينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد، حاضر القلب، ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة أن يكون مشتغلاً بالعلم هو المراد بمن له قلب، أو كان فيه من العقل ما يحمله على إلقاء السمع وحسن الإصغاء والضراعة.

ويقول تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجَالٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ

﴿أَنْبَاءَكُمْ دَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:4]، (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ذكر جمع من المفسرين في سبب نزول هذا القسم من الآية: أن رجلا في الجاهلية يدعى «جميل بن معمر» كان عجيب الحفظ، وكان يدعي أن في جوفه قلبين كل منهما أفهم من محمد صلى الله عليه وعلى آليه وسلم، ولذلك كان مشركو قريش يسمونه: ذا القلبين! فلما كان يوم بدر وهزم المشركون، وفيهم جميل بن معمر، تلقاه أبو سفيان وهو أخذ بيده إحدى نعليه، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر، ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت بذلك، وكنت أظنهما في رجلي، فعرفوا يومئذ أنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده. بل لم يكن يعقل ويفهم حتى بمقدار ذي القلب الواحد.

ويقول جل من قائل في سورة الملك: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 23].

يقول الطبري: {وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ} تسمعون به، و{الْأَبْصَارَ} تبصرون بها، و{الْأَفْئِدَةَ} تعقلون بها، {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}، يقول: قليلاً ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم.

وفي سورة المؤمنون يقول جل وعلا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:78].

وفي سورة السجدة يقول تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 9].

وفي التجربة التي قام بها الأستاذ عمر عبد العزيز والتي وردت في المحور العلمي تحت عنوان القلب والإدراك يظهر جليا ارتباط العقل بالقلب وكانت هذه التجربة كما يقول هو: "انطلاقا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في سنن النسائي وأبن ماجه: عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق" قال الألباني: حديث صحيح رجاله ثقات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرأوا إن شئتم، قول الله {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} متفق عليه. تدل عبارة ولا خطر على قلب بشر دلالة قطعية على أن القلب هو محل التفكير والتصور ووزن الأمور.

6- بصيرة القلب

من عميت بصيرته لم ير حقا من باطل، ولم يميز حسنا من قبيح، ولا نافعا من ضار يقول تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا هُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿[الحج: 46].

يقول الفخر الرازي: أما قوله تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها} فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع البتة ولو تفكر فيما سمع لأنتفع، فهذا قال: {فإنها لا تعى الأبصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور} كأنه قال لا عى في أبصارهم فإنهم يرون بها لكن العى في قلوبهم حيث لم ينتفعوا بما أبصروه. يقول الشاعر:

قلوب العارفين لها عيون*** ترى ما لا يراه الناظرون

وأجنحة تطير بغير ريش*** إلى ملكوت رب العالمينا

ومما يؤكد بصيرة القلب والفؤاد قول الله تعالى في سورة النجم:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11].

ذكر أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي (ت 450هـ) ^[46] رحمه الله في النكت والعيون أن فيه قولان: أحدهما: معناه ما أوهمه فؤاده ما هو بخلافه كتوهم السراب ماء فيصير فؤاده بتوهم المحال كالكاذب له، وهو تأويل من قرأ {ما كذب الفؤاد} بالتخفيف. أما الثاني: معناه ما أنكر قلبه ما رآته عينه

وهو تأويل من قرأ {كذب} بالتشديد. روى محمد بن كعب قال: قلنا يا رسول الله [هل رأيت ربك] قال: "رأيتَه بفؤادي مرتين" ثم قرأ: {ما كذب الفؤاد ما رأى}.

7- القلب مركز الخوف

ذكر الله تبارك وتعالى في كثير من الآيات أن القلب هو العضو الذي يقع فيه أنواع الخوف من رهبة وفزع الى غير ذلك ويتم الربط على القلب تحديدا حتى لا يقع الخوف. ثم ذكر القرآن ثمان حالات:

7-1. حالة الوجل

وصف الله تبارك وتعالى قلوب المؤمنين بحالة الوجل في عدة آيات فقال جل من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:60].

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج:35].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:2].

{ وجلت } معناه : فزعت ورقت وخافت. والوجل استشعار الخوف. يعني أن القلب يشعر بالوجل يلم به من ذكر الله فيخفق له. جاء في سنن ابن ماجه عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }

أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق قال: " لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصليّ ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ".

2-7- حالة الرهبة

يقول تبارك وتعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13].

وأصل الرهبة والرهب: الخوف الشديد مع حزن واضطراب.

3-7- حالة الفزع

يقول الله تبارك وتعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]. معناه ذُهِبَ عَن قُلُوبِهِمْ، وَنَفَسَ عَنْهَا. وَفُزِّعَ عَنْهَا: معناه خَلِّيَ عَنْهَا يقول الفراء: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ} قراءة الأعمش وعاصم وأهل المدينة. وقراءة الحسن البصري {فُزِّعَ} وقراءة مجاهد {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ} يجعل الفعل لله وأما قول الحسن فمعناه حتى إذا كُشِفَ الفزع عن قلوبهم وَفُزِّعَتْ مِنْهُ. فهذا وجه. ومن قال فُزِّعَ أو فُزِّعَ فمعناه أيضاً: كُشِفَ عَنْهُ الفزع (عن) تدلّ على ذلك كما تقول: قد جُلِّيَ عَنْكَ الفزع.

4-7- حالة الرعب

من المعروف أنّ للحالة النفسية دورها في تثبيت المواقف وتأكيدّها، ولذا فإنّ الرُعب الذي يلقيه الله في قلوب الذين كفروا من خلال العناصر

الخارجية والإيحاءات الداخلية، في مقابل الطمأنينة والسكينة التي ينزلها على رسوله والمؤمنين، يمكن لهذا كله أن يحرك الهزيمة في ساحة الكافرين والنصر في مجتمع المؤمنين يقول الله تعالى في سورتي الأنفال وآل عمران:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيِّي مَعَكُمْ فَشِئْتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12]

﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبئسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:151].

يقول الفخر الرازي: الرعب: الخوف؛ يقال: رَعِبْتَهُ رُعْبًا ورُعْبًا، فهو مرعوب. ويجوز أن يكون الرعب مصدرًا، والرُّعْبُ الاسم. وأصله من الملاء، يقال: سيل راعب يملأ الوادي. ورعبت الحوض ملأته. والمعنى: ستملاً قلوب المشركين خوفاً وفزعاً. وقرأ السخستاني "سَيْلُني" بالياء، والباقون بنون العظيمة. قال السدي وغيره: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا! قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به. والإلقاء يستعمل حقيقة في الأجسام، قال الله تعالى: {وَأَلْقَى الْأُلُوحَ} [الأعراف: 150] {فألَقُوا حبالهم وعصيهم} [الشعراء: 44]

{فَأَلْقَى عَصَاهُ} [الأعراف: 107]. قال الشاعر: فألقى عصاها واستقرَّ
بها النَّوَى،

إذن هناك ارتباط وثيق بين الخوف وإلقاء الدم أو حركته في القلب فعند
الخوف الشديد تكون حركة الدم في القلب على شكل سيل عارم. استعمل
الحق تبارك وتعالى في هذه الآية سنلقي كما استعمل في سورتى الأحزاب
والحشر كلمة كذف فقال جل من قائل: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: 26].

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ
مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]

5-7- حالة الوجف

يصف الله تبارك وتعالى قلوب الخلق يوم القيامة في سورة النازعات بقوله:
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: 8]. قال القرطبي: أي خائفة وجللة. قاله
ابن عباس، وعليه عامة المفسرين. وقال السدي: زائلة عن أماكنها. نظيره {إذ
القلوب لدى الحناجر} [غافر: 18]. وقال المؤرج: قلقة مستوفزة، مرتكضة

غير ساكنة . وقال المبرد : مضطربة. يقال وجف القلب يجف وجيفا إذا خفق، ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو، والإيجاف حمل الدابة على السير السريع، قال الشاعر:

بُدِّلْنَ بعدَ جِرَّةٍ صَرِيحًا *** وبعد طول النفس الوجيفًا.

ومن المعلوم أن القلب -إذا خاف صاحبه- خفق فزادت سرعته لضخ الدم إلى باقي أعضاء الجسم.

7-6- حالة الفراغ

يصف الله تبارك وتعالى أهل النار بأن أفندتهم هواء والعياذ بالله فيقول جل من قائل:

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾ [إبراهيم 43].

يقول الطبري: وقوله: وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً اختلف في تأويله، فقال بعضهم: معناه: متخرقة لا تعي شيئاً، وقال آخر: خربة. كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء إنما هو هواء. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد في قوله: {وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً} الأفئدة : القلوب هواء كما قال الله، ليس فيها عقل ولا منفعة. وقال آخرون: إنها لا تستقر في مكان فهي تردد في أجوافهم وعن مسروق عن أبي الضحى: {وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً} قال: قد بلغت حناجرهم. وعن قتادة، في قوله: {وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً}: هواء ليس فيها شيء، خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم. أو انتزعت حتى صارت في حناجرهم لا تخرج

من أفواهم، ولا تعود إلى أمكنتها. والعرب تسمي كلَّ أجوف خاو. هواء ومنه قول حسن بن ثابت :

ألا أبلغُ أبا سُفْيَانَ عَنِّي *** فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخِيبٌ هَوَاءٌ
يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية ليس هناك شيء فارغ تماما، لا بد أن يكون فيه شيء حتى ولو كان الهواء.

ويقول تبارك وتعالى في وصف فُوَادُ أم موسى حين خافت عليه من فرعون:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى

قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:10]. ذكر القرطبي في تفسيره لهذه

الآية أن القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قال الله تعالى: {كذلك لنتبث به فؤادك} {الفرقان: 32} وقال: {ألم نشرح لك صدرك} [الشرح: 1] يعني في الموضوعين قلبك. وقد يعبر به عن العقل، قال الله تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب} [ق: 37] أي عقل، لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين. والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد، والله أعلم.

لقد ضاع قوم قلدوك أمورهم *** بدابق إذ قيل العدو قريب

رأوا جسدا ضخما فقالوا مقاتل *** ولم يعلموا أن الفؤاد نخيب

كما ذكر أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري^[47] (ت 538هـ)

رحمه الله في الكشاف عن حقائق التأويل: أن {فَارِغًا} صفرًا من العقل.

والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط

الجزع والدهش. ونحوه قوله تعالى: { وَأَفْتِدُكُمُ هَوَاءَ } [إبراهيم : 43] أي جَوْفَ لا عقول فيها ويدل عليه قراءة من قرأ: فرغاً. وقرأ: «قرعاً» أي خالياً كقولهم: أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء . وفرغاً، كقولهم: دماؤهم بينهم فرغ، أي هدر، لا قِوَدَ فيه ولا دية قرأ جمهور الناس «فارغاً» من الفراغ وقرأ ابن عباس " قرعاً " بالقافِ وكسرِ الراءِ وسكونها، مِنْ قَرَعَ رَأْسَهُ : إذا انْحَسَرَ شعرُهُ . والمعنى : خلا مِنْ كُلِّ شيءٍ، وانْحَسَرَ عنه كُلُّ شيءٍ. {أصبح} مستعمل في معنى (صار) فاقتضى تحولاً من حالة إلى حالة أخرى، أي كان فؤادها غير فارغ فأصبح فارغاً.

7-7- الربط على القلب لمعالجة الخوف

يربط الله تبارك وتعالى على القلوب حتى لا يقع الخوف وذلك ما ورد في سورة القصص الآية 10 إخباراً عن حالة أم موسى كما ورد سابقاً وقد كررت هذه الآية لاحتوائها على الصفتين فراغ الفؤاد والربط على القلب يقول تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10]

ويقول تعالى في أهل بدر: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ ۖ أَمَنَةً مِنْهُ ۖ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال 11] يقول الزمخشري: الضمير في {به} للماء. ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت

القدم في مواطن القتال. الرابط الجأش تثبت قدمه عند مكافحة الهول {وَلِيْرِبْطَ عَلَىٰ قُلُوْبِكُمْ} أي يشدها وربط هو الشد لشيء . فيحتمل قوله (وليربط على قلوبكم) أي يشدها حتى لا يزال أحد عما هو فيه ولا يزيغ عن ذلك، وإن ابتلاه الله تعالى بأنواع الشدائد والبلايا .

وجاء في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم بن عمر، البقاعي (ت 885هـ)^[48]: {وليربط} أي بالصبر واليقين . ولما كان ذلك ربطاً محكماً غالباً عالياً، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال: { على قلوبكم } أي بعد إسكانها الوثوق بلطفه عند كل ملمة حتى امتلأت من كل خير وثبت فيها بالربط، فشبهها بجراب ملء شيئاً ثم ربط رأسه حتى لا يخرج من ذلك الذي فيه شيء. ويقول كذلك إخباراً عن أصحاب الكهف:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوْبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَنْدَعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14].

يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية : والربط يعني أن تربط على الشيء وتشد عليه لتحفظ ما فيه، كما تربط القرية حتى لا يسيل الماء، وتربط الدابة حتى لا تنفلت، ومن هنا نأمر الغاضب الذي تغلي الدماء في عروقه بالهدوء وضبط النفس؛ لأن الهدوء سيعينه على الحق، ويلجم جماح غضبه الذي لا تحمد عقباه، ألا ترى التوجيه النبوي في حال الغضب إنه ينصح بتغيير الوضع الذي أنت عليه؛ لأن هذه العملية تحدث لديك

نزوعية، تصرف عنك الغضب. وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى: { وأفئدتهم هواء } [إبراهيم43] أي فارغة خالية ليس فيها شيء؛ لأن الشيء إذا فرغته من محتواه امتلأ بالهواء. ويقول الحق سبحانه { لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا } بإلهام الصبر، كما يربط على الشيء المنفلت ليقرّ ويطمئن. كلمة «ربطنا» من مادة «ربط» ومعناها في الأصل شدّ وثاق الحيوان أو ما أشبهه بمكان ما ليكون محفوظاً في مكانه، ولذلك يدعى هذا المحلّ الذي تربط فيه الحيوانات بـ«الرباط».

في كل هذه الآيات يربط الله تبارك وتعالى بين الخوف والسرعة من رعب(سيل راعب) ووجف (الإيجاف حمل الدابة على السير السريع) وكذلك يستعمل الحق تبارك وتعالى عبارات من قبيل قذف وألقى وهي تستعمل لمادة محسوسة وكذلك الإفراغ والربط مما يؤكد أن هناك علاقة بين سرعة تدفق الدم من القلب والخوف وأن الربط والشد على القلب في حالة الخوف مفيد حتى لا يبقى فارغاً من الدم ممتلاً بالهواء فتشتت الأفكار ويحصل ما لا تحمد عقباه . ولقد رأينا سابقاً في المحور العلي أنه في الحالة العادية يمتلئ البطين الأيسر من القلب قبل كل نبضة ب 160 مل من الدم يضح منها نسبة 70% أي 112 مل وبالتالي تكون الكمية الباقية من الدم وبصفة دائمة في البطين الأيسر من القلب هي 48 مل. أما في حالة الخوف فتتسارع نبضات القلب فلا تترك وقتاً كافياً من أجل أن يتجمع الدم في البطين الأيسر إذ لا تتجاوز كمية الدم المتجمعة في البطين الأيسر أكثر من

40 مل فإذا ما ضخ القلب منها نسبة 70% مع كل نبضة فهذا يعني أن الدم المتبقي في القلب لا يتجاوز 12 مل. وكلما ازداد التسارع كلما أصبح القلب فارغا من الدم وهنا تنشبت الأفكار ويحصل اضطراب لدى الشخص قد يؤدي به إلى الضرر وهو ما حدث لأُم موسى إذ كادت أن تكشف حقيقة ابنها لولا أن ربط الله على قلبها لإبقاء نسبة كافية من الدم داخل القلب تساعدها على التركيز. والله أعلم.

7-8- ازدياد حجم القلب

ورد في آية فرانك – ستارلنك أن القلب يتمدد الى درجة أكبر عندما تجري إليه كمية إضافية من الدم ويضخها إلى الشرايين بسبب زيادة قدرته على الضخ أوتوماتيكيا ولهذا فالقلب يكبر أو يزداد حجمه في حالة الخوف وينقبض أو ينقص حجمه في حالة الأمن بعد الخوف أو زوال الخوف يؤكد هذا قول الله عز وجل في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب : 10]. يقول أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد،

السمرقندي (ت 373هـ)^[49] رحمه الله، من أئمة الحنفية في تفسيره بحر العلوم للسمرقندي: { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ } خوفاً، ويقال : اضطراب القلب يبلغ الحناجر . ويقال : إذا خاف الإنسان، تنتفخ الرئة، وإذا انتفخت الرئة، يبلغ القلب الحنجرة . ويقال للجبان : منتفخ الرئة. { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الْحَنَاجِرَ { أي زالت عن أماكنها حتى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة . وقيل إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة . { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ } وهي جمع حنجرة . والحنجرة : جوف الحلقوم . قال قتادة : شخصت عن مكانها، فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت . وقال غيره : المعنى أنهم جبنوا وجزع أكثرهم ؛ وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فيرتفع حينئذ القلب إلى الحنجرة. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس والفراء . وذهب ابن قتيبة إلى أن المعنى: كادت القلوب تبلغ الحلاقيم من الخوف . و يقول تعالى في سورة غافر: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

يقول البقاعي: ولما ذكر اليوم، هول أمره بما يحصل فيه من المشاق فقال: {إذ القلوب} أي من كل من حضره . ولما كان هذا الرعب على وجه غريب باطن، عبر ب "لدى" فقال: {لدى الحناجر} أي حناجر المجموعين فيه إلا من شاء الله وهي جمع حنجور وهي الحلقوم وزناً ومعنى يعني أنها زالت عن أماكنها صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج وصارت مواضعها من الأفئدة هواء، وكانت الأفئدة معترضة كالشجي لا هي ترجع إلى مقارها فيستريحوا ولا تخرج فيموتوا.

8- الكتمان والإخفاء

تؤكد التجارب الجديدة أن مركز الكذب هو في منطقة الناصية في أعلى ومقدمة الدماغ، وأن هذه المنطقة تنشط بشكل كبير أثناء الكذب، ولذلك وصف الله هذه الناصية بأنها: (نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ) [العلق: 16]. أما المعلومات التي يختزنها القلب فهي معلومات حقيقية صادقة، وهكذا فإن الإنسان عندما يكذب بلسانه، فإنه يقول عكس ما يختزنه قلبه من معلومات، ويؤكد هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى في وصف المنافقين والمتخلفين عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يُقُولُونَ بِالْأَسِنَّةِ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: 11]

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: 167]

فاللسان هنا يتحرك بأمر من الناصية في الدماغ، أما القلب فعمله النية، واللسان قد يقول ولا يفعل ما يقول { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } إذن فاللسان لم يتفق مع القلب. فالقلب منعقد ومصر على الكفر والعياذ بالله واللسان يتبجح ويعلم بالإيمان. والصدق هو أن يوافق القول الواقع،

والواقع في القضية الإيمانية نية في القلب وحركة تُثبت الإيمان، أما المنافقون فألسنتهم لا توافق قلوبهم، فلما كان ما في القلب مستورا ثم ظهر إلى الجوارح انكشفوا. وهذا هو السبب في أنهم كانوا أقرب إلى الكفر، { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } وهذا لون من نقص التصوير الإيماني في القلب، كأنهم يعاملون الله كما يعاملون البشر مثلهم. ويحذر الله تبارك وتعالى المنافقين من أنه مخرج ما يخفون في قلوبهم فيقول جل من قائل:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 64].

عن الحسن، ومجاهد، والجبائي، وأكثر المفسرين: إنهم يحذرون من أن ينزل الله على النبي والمؤمنين، سورة تخبر عما في قلوب المنافقين من النفاق والشرك ومن العداوة للمؤمنين. وكانوا يخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم قال قتادة: هذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازينهم ومثالبهم. ويقول تعالى في وصف الأخنس بن شريق في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204]

يقول العز بن عبد السلام، السليبي الدمشقي الشافعي (ت 660هـ) [50] رحمه الله: { يعجبك قوله } من الجميل والخير، أو من حب الرسول صلى الله عليه وسلم والرغبة في دينه. { ويشهد الله على ما في قلبه } يقول اللهم

اشهد عليّ به، أو في قلبه ما يشهد الله أنه بخلافه، أو يستشهد الله على صحة ما في قلبه والله يعلم أنه بخلافه . {ألدّ} الألد: الشديد الخصومة . {الخصام} مصدر، أو جمع خصيم أي ذو جدال، أو كذاب، أو شديد القسوة في المعصية، أو غير مستقيم الخصومة . نزلت في الأخنس بن شريق، أو هي صفة للمنافقين .

ويقول جل من قائل في سورة الأحزاب: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّئُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 51].

وفي سورة النساء يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]

وفي سورة الفتح يقول تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18].

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} من الصدق والوفاء وهذا قول ابن عباس. وقال مقاتل: {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} من الكراهية للبيعة على أن يقتلوا، ولا يفرّوا. كما ذكر

القرآن علاقة بين النفس والقلب والصدر وأشار أنها كلها مواقع للكتمان والإخفاء فقال جل وعلا في سورة آل عمران:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل

عمران: 154]

يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَي يَسْرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا لَا يَظْهَرُونَ لَكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَالَّذِي أَخْفَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ كُنَّا فِي بُيُوتِنَا مَا قَتَلْنَا هَٰ هُنَا {وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور}، يقول: الله عليم بما في القلوب من الإيمان والنفاق.

جاء في تفسير الجلالين^[51] (911هـ) رحمهما الله: [ليبتلي] يختبر [الله ما في صدوركم] قلوبكم من الإخلاص والنفاق [وليمحص] يميز [ما في قلوبكم] والله عليم بذات الصدور [بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس].

أما الطبري فيقول: ويعني بقوله: { وَلَيَبْتَلِيَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ } : وليختبر الله الذي في صدوركم من الشك، فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم. {وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} يقول: وليتبينوا ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} يقول: والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر وإيمان وكفر، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، سرائرها وعلانياتها، وهو لجميع ذلك حافظ، حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم.

ثم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل : 74] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص:69]

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر : 80] وي ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: 10] مقاتل: يعني تميز ما في القلب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ إِنَّ اللَّهَ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 10] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ

الْبَعْضَاءِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿آل عمران: 118﴾

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَحْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5]

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: 7]. ﴿هَأَنْتُمْ أَوْلَاءُ

تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119]. ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا

أُودِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ سَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ

الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 10]. ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلِيلًا لَفَسَلْتُكُمْ وَتَلْتَا زَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ﴾ [الأنفال: 43]. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: 23]. ﴿إِنَّ اللَّهَ

عَالِمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿فاطر: 38﴾.
 ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا
 يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿الزمر: 7﴾.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].
 ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ
 الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشوري: 24].
 ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6].

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: 4].

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: 13].
 ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 29].

يقول الفخر الرازي: محل البواعث والضمائر هو القلب فلم قال: {إن تخفوا ما في صدوركم} ولم يقل إن تخفوا ما في قلوبكم؟ الجواب: لأن القلب

في الصدر فجاز إقامة الصدر مقام القلب كما قال {يوسوس في صدور
الناس} [الناس: 5] وقال: {فإنها لا تعي الأبصار ولكن تعي القلوب التي في
الصدور} [الحج: 46].

9- الضيق والحرج

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97].
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2].

يقول الشنقيطي في العذب النمير: [فلا يكن في صدرك حرج منه] صدر
الإنسان معروف، وإذا جاء على الإنسان أمر يثقل عليه أو يشق عليه أورثه
ضيقا في صدره، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشق عليه ويضيق بصدرة
التبليغ من حيث إن الكفار يكذبونه ويقولون له: أنت كاذب، أنت ساحر،
أنت شاعر، أنت كاهن، هذه أساطير الأولين علمها لك بشر. فتكذيبهم له
وأذيتهم له يشق عليه كما قال الله: [ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما
يقولون] [الحجر: 97] وقال [قد نعلم إنه ليحزنك] [الأنعام: 33] وفي القراءة
الأخرى: [ليحزنك الذي يقولون] أي: [فلا يكن في صدرك حرج] أي: ضيق.
يعني: أوسع صدرك، وتحمل الأذى، وشق الطريق في تبليغ هذا القرآن
العظيم، والإنذار به، والتذكير به، لا تضعف، ولا تجبن، ولا تخف من
الأذى، ولا يضيق صدرك به. والحرج في كلام العرب: الضيق وقد يسمون

الشجر الملتف الذي لا تصل إليه راعية يسمونه: (حرجة) لضيق مكانه. ومنه قوله: [وما جعل عليكم في الدين من حرج] (الحج: 78) أي ما جعل عليكم من ضيق. وأحرجه. أوقعه في الحرج؛ ولذا سميت الطلقات الثلاث (المحرجات) لأنها تضيق على صاحبها وتمنعه من رجعة امرأته. واليمين قد تكون محرجة لأنها تمنع من المحلوف عليه. ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن أبي الصلت الثقفي. أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية {ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً} بفتح الراء، وقرأها بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم {حرجاً} بالكسر. فقال عمر: أبغوني رجلاً من كنانة وأجعلوه راعياً، ولكن مدلجياً. فأتوه به فقال له عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير. وقال ابن عباس: يجعل الله عليه الإسلام ضيقاً والإسلام واسع، وذلك حين يقول: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق، وقال مجاهد والسدي: (ضيقاً حرجاً) شاكراً،

وقال عطاء الخراساني: (ضيقا حرجا) أي ليس للخير فيه منفذ، وقال ابن المبارك: (ضيقا حرجا) بلا إله إلا الله حتى لا تستطيع أن تدخل قلبه، (كأنما يصعد في السماء) من شدة ذلك عليه، وقال سعيد بن جبير: (يجعل صدره ضيقا حرجا) لا يجد فيه مسلكا إلا صعد، وقال عطاء الخراساني: (كأنما يصعد في السماء) يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد إلى السماء، وقال ابن عباس: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه، وقال الأوزاعي: كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما؛ وقال ابن جرير: وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه يقول: فمثله في امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأنه ليس في وسعه وطاقته وذكر صاحب الظلال سيد قطب رحمه الله: من يقدر له الضلال وفق سنته الجارية من إضلال من يرغب عن الهدى ويغلق فطرته عنه. (يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء). فهو مغلق مغموس يجد العسر والمشقة في قبوله، (كأنما يصعد في السماء).. وهي حالة نفسية تجسم في حالة حسية، من ضيق النفس، وكربة الصدر، والرهق المضني في التصعد إلى السماء!

يقول رائد التفسير العلمي في العصر الحديث الدكتور زغلول النجار في تفسيره لهذه الآية : ويعجب الإنسان لهذا التشبيه القرآني المعجز الذي

يقابل بين ضيق صدر العازفين عن الهداية الربانية، كلما ذكروا بها، وضيق صدر الذي يصعد في السماء بغير وسيلة واقية، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان في أبعادها الصحيحة إلا بعد ريادته للفضاء، فإذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر فإنه يتعرض لمشكلات عديدة منها صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين وتناقص ضغط الهواء، وهو مرض يسميه المتخصصون في طب الطيران باسم مرض عوز الأوكسجين ومنها مشكلات انخفاض الضغط الجوي والذي يسمى باسم خلل الضغط الجوي وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، فتبدأ في التوقف الوظيفة تلو الأخرى، وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلى تلك المرتفعات بغير استعدادات وقائية كافية، حيث يجد ضغوطا شديدة على الرئتين والقلب مما يمزق خلاياهما وأنسجتهما، وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وورودها في كتاب الله الذي أنزل قبل أربعة عشر قرنا على نبي أمي صلى الله وسلم وبارك عليه في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين مما يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي والرسول الخاتم كان موصولا بالوحي ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

ويقول الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٌ وَكَيْلٌ ﴿هود: 12﴾. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَى هَارُونَ﴾ [الشعراء: 13]

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: 90]

يقول ابن المنذر - 318هـ: عن السدي، في قوله عز وجل: { أَوْ جَاءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ } يقول: ضاقت صدورهم. من الضيق، وهي من
الحصور بمعنى: ضاقت عن قتالكم، وكذلك كل من ضاق صدره عن فعل
وكلام فقد حصر. وقال أبو عبيدة: ومنه الحصر في القراءة.

10- القلب محل المحبة

يقول تبارك وتعالى حكاية عن خليته: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].
عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: {رَبُّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}، وَأَنَّهُ بَيْتَ طَهَرَ اللَّهُ مِنَ السَّوْءِ، وَجَعَلَهُ قَبْلَةً، وَجَعَلَهُ
حَرَمَهُ، اخْتَارَهُ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْلَدِهِ". عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:

{فَأَجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ أَنَسًا مِّنَ النَّاسِ يَهْوُونَ سَكَنِي مَكَّةَ. عَنِ السُّدِّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فَأَجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}. يَقُولُ: خَذْ بَقُلُوبِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ حَيْثُ يَهْوِي الْقَلْبُ يَذْهَبُ الْجَسَدُ، فَلِذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ، إِلَّا وَقَلْبُهُ مَعْلُوقٌ بِحَبِّ الْكَعْبَةِ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لَوْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ دَعَا، قَالَ: اجْعَلْ أَفئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ لِأَزْدَحَمْتُ عَلَيْهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَلَكِنَّهُ خَصَّ حِينَ قَالَ: {أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ}، فَجَعَلَ ذَلِكَ أَفئِدَةَ الْمُؤْمِنِينَ". عَنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَأَلْتُ عِكْرِمَةَ، وَطَاوَسَا، وَعِطَاءَ بْنَ أَبِي رِيَّاحٍ: عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالُوا: "الْبَيْتُ تَهْوِي إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ يَأْتُونَهُ، وَفِي لَفْظٍ، قَالَ: "هُوَ أَهْمٌ إِلَى مَكَّةَ أَنْ يَحْجُوا".

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَيُزِنُهُ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات (7)]. يَقُولُ الْمَاتَرِيدِيُّ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَحَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ بِهِ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَتَّى صَارَ هُوَ فِي قُلُوبِكُمْ أَحَبَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يَقُولُ السَّمُرْقَنْدِيُّ: جَعَلَ حُبَّ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذِكْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتِّخَاذِهِمْ عَجَلًا إِلَيْهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا

آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَعَيْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ
بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة 93﴾
أشربوا حبه حتى خلس ذلك إلى قلوبهم.

11- عظمة الأمور في الصدور :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ
يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ
مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿الإسراء: 51﴾

يقول الطبري : {أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ}، جائز أن يكون عنى به
الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم وجائز أن يكون أراد به السماء
والأرض وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين
جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخص
منه شيئاً دون شيء .

الفصل الثاني: الصفات الحميدة

جاء في القرآن العظيم عدة أوصاف حميدة للقلب من رأفة ورحمة وألفة وطمأنينة ووصف القلب باللين وكذلك جعله الله محل الهداية، والإسلام والإيمان والخشوع إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي وردت في هذا الفصل والبالغة 16 صفة وهذا لا يعني أنها كل الصفات الحميدة التي وصف الله تبارك وتعالى بها القلب في القرآن ولكن على الأقل هي الصفات الصريحة الواردة في كتابه العزيز بإذن الله والله أعلم:

1- الرأفة والرحمة

جعل الله القلب مقر الحنان والرأفة والرحمة وذكر ذلك في سورة الحديد إذ يقول الله تبارك وتعالى في وصف الذين اتبعوا عيسى ابن مريم :

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 27].

يقول أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي مفسر من كبار علماء الجزائر (ت 875هـ)^[52]، في الجواهر الحسان في تفسير القرآن: وقوله سبحانه وتعالى: { وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً }:

الجعل في هذه الآية بمعنى الخلق. وقوله { ابتدعوها } : صفة لرهبانية، وَخَصَّهَا بِأَنَّهَا ابْتُدِعَتْ ؛ لِأَنَّ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ فِي الْقَلْبِ، لَا تَكْسِبُ لِلإِنْسَانِ فِيهَا، وَأَمَّا الرَّهْبَانِيَّةُ فِيهَا أَفْعَالُ بَدَنٍ مَعَ شَيْءٍ فِي الْقَلْبِ، فَفِيهَا مَوْضِعٌ لِلتَّكْسُّبِ، وَنَحْوُ هَذَا عَنِ قِتَادَةِ، وَالْمَرَادُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ حُبُّ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ وَتَوَادُّهُمْ، وَالْمَرَادُ بِالرَّهْبَانِيَّةِ: رَفُضُ النِّسَاءِ، وَاتِّخَاذُ الصَّوَامِ وَالِدِيَّارَاتِ، وَالتَّفَرُّدُ لِلْعِبَادَاتِ، وَهَذَا هُوَ ابْتِدَاعُهُمْ، وَلَمْ يَفْرِضِ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّمْ فَعَلُوا ذَلِكَ ؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ.

2- الألفة

القلب محل الحنان والحب والألفة فالمرضى الذين زرعت لهم قلوب اصطناعية، فقدوا الإحساس والعواطف والقدرة على الحب!، يقول بيتر الذي زرع له قلب صناعي: "إن مشاعري تغيرت بالكامل، فلم أعد أعرف كيف أشعر أو أحب، حتى أحفادي لا أحس بهم ولا أعرف كيف أتعامل معهم، بل عندما يقتربون مني لا أحس أنهم جزء من حياتي كما كنت من قبل". إذن فالألفة والمحبة محلها القلب ذكر الله في القرآن العظيم كيف أُلِفَ بَيْنَ قُلُوبِ الصَّحَابَةِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَتِي آلِ عِمْرَانَ وَالْأَنْفَالِ:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿[آل عمران: 103]. ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
[الأنفال: 63].

يلقى سيد بن قطب بن إبراهيم^[53] (ت 1387هـ) رحمه الله، -كاتب وعالم
بالتفسير، من كبار المفكرين الإسلاميين- على هذه الآية في تفسيره ظلال
القرآن لسيد قطب فيقول: لقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله،
والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدة فاستحالت هذه القلوب النافرة وهذه
الطباع الشموس إلى هذه الكتلة المتراسة المتأخية الذلول بعضها لبعض،
المحب بعضها لبعض المتآلف بعضها مع بعض، بهذا المستوى الذي لم
يعرفه التاريخ والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة أو يمهد لحياة
الجنة وسمتها البارزة {ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر
متقابلين} إن هذه العقيدة عجيبة فعلاً إنها حين تخالط القلوب، تستحيل
إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب، التي تلين قاسمها، وترقق
حواشها، وتندي جفافها، وتربط بينها برباط وثيق عميق رقيق. فإذا نظرة
العين. ولمسة اليد، ونطق الجارحة، وخفقة القلب، ترانيم من التعارف
والتعاطف، والولاء والتناصر، والسماحة والهدوء، لا يعرف سرها إلا من
ألف بين هذه القلوب؛ ولا تعرف مذاقها إلا هذه القلوب! وكان صلى الله
عليه وسلم يتألف قلوب بعض الداخلين في الإسلام بالصدقة وذلك تطبيقاً

لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]

يقول الشعراوي : الإحسان يؤلف قلب الإنسان السوي، وكذلك يؤلف جوارح الإنسان غير السوي، فلا يتعدى على من أحسن إليه باللسان أو باليد.

3- وصف القلب باللين

ولكي تعرف تفاعل قلبك مع كتاب الله العزيز، اقرأ قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

يقول الشعراوي: وهكذا نرى أن الجلود تقشعر من هول الوعيد بالنار ومجرد قراءة ما ذكره القرآن عنها وبعد ذلك تأتي الرحمة، وفي هذه الحالة لا تلين الجلود فقط ولكن لا بد أن تلين القلوب لأنها هي التي تعطي اللحمية الإيمانية لكل جوارح الجسد. قال الزمخشري : إذا ذكرت آيات الوعيد اقشعرت جلودهم وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وإنما ذكر الجلود وحدها في الخوف أولاً ثم قرن بها القلوب في الرجاء لأن الخشية محلها القلب وهي سبب الاقشعرار وإذا ذكروا الله وأصل أموره وأولاهها الرحمة زالت شدة الخوف بالرجاء وبالقشعريرة وباللين . وقيل لأن

المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فإذا كان الخوف اقشعر الجلد واذا كان الرجاء اطمأن القلب ولان الجلد.

4- الهداية

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]

يقول الماتريدي في تفسير هذه الآية: { ومن يؤمن بالله يهد قلبه } يحتمل وجوها: أحدها: أي من آمن بما شاهد من التدبير يهده الله تعالى ليعلم أن من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه بهذه المصيبة. والثاني: يجوز أن يكون تأويله على وجه آخر وهو أن يقول: من يؤمن بالله أن له الخلق والأمر يهد قلبه ليسكن، ويعلم أن الله أولى به، فيسترجع عند ذلك. وذلك تأويل من قرأ: يهدأ قلبه أي يسكن، من الهدء، وهو السكون، والله أعلم.

أورد أبو يحيى، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري^[54] (المتوفى سنة:

926هـ) في تفسيره: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: عند قوله تعالى: {ومن يؤمن بالله يهد قلبه} إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الهداية سابقة على الإيمان؟ قلت: ليس المراد يهد قلبه للإيمان، بل المراد يهده لليقين عند نزول المصائب، فيعلم أن ما أخطأه لم يكن لصيبه، وما أصابه لم يكن

ليخطئه، أو يهده للرضى والتسليم عند وجود المصائب، أو للاسترجاع عند نزولها بأن يقول: {إنا لله وإنا إليه راجعون} [البقرة: 156].

5- الإسلام

الإسلام محله القلب يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125]. الشرح في اللغة هو الكشف والبسط وإظهار الغامض والخافي من المعاني. يقال: (شرح) المشكل أو الغامض من الأمر (يشرحه) (شرحا) أي فسره، وبسطه، وأظهر ما خفي من معانيه، و(شرح) الله صدره للإسلام (فانشرح) أي انبسط في رضا وارتياح للنور الإلهي والسكينة الروحية لأن من معاني (شرح) الصدر توسعته.

قال ابن عباس معناه يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، وذكر سيد قطب رحمه الله في الظلال: من يقدر الله له الهداية. وفق سنته الجارية من هداية ومن يرغب في الهدى ويتجه إليه بالقدر المعطى له من الاختيار بقصد الابتلاء. (يشرح صدره للإسلام)، فيتسع له، ويستقبله في يسر ورغبة، ويتفاعل معه، ويطمئن إليه، ويستريح به ويستريح له. أخرج ابن المبارك في الزهد والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي جعفر المدائني قال: «سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره

للإسلام { قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح له . قالوا فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام } يقول يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به { ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً } يقول : شاكاً { كأنما يصعد في السماء } يقول : كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه . أخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في قوله { ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً } يقول : من أراد الله أن يضله يضيق عليه حتى يجعل الإسلام عليه ضيقاً والإسلام واسع، وذلك حين يقول : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } [الحج : 78] يقول : ما في الإسلام من ضيق.

ثم يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 22]

وجاء في صحيح مسلم عن أسامة بن زيد "قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا، فقال لا إله إلا الله فطعنته فوق في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته قال:

قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال أفلا شققت عن قلبي حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ".

6- الإيمان

يؤكد بعض الباحثين على أهمية القلب في الإيمان والعقيدة وأن الإيمان يكون بالقلب وليس بالدماغ. وهذا ما يؤكد كذا القرآن العظيم في عدة آيات، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المحاذنة (22)].

{كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ} أي أثبتته فيها، كقوله تعالى: (لكل أجل كتاب) أي إثبات إلى وقت. يقول الماتريدي: أي أثبت في قلوبهم الإيمان، فلا يرجعون عنه. وفيه أن الإيمان، موضعه القلب. {كتب} أي وصل وأثبت وصلا هو في لحمته كالخرز في الأديم، وكالطرز في الثوب الرقيم، فلا انفكاك له {في قلوبهم الإيمان} فجعلها أوعية له فثمر ذلك نور الباطن واستقامة الأعمال في الظاهر. ثم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولُهُ لَا يَلْتَكُمُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ رَحِيمٌ ﴿[الحجرات: 14]

الإيمان شيء في القلب قوامه الإخلاص لله والتصديق بكل ما أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يكون باللسان وإنما بالقلب يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَمَ تُوْمِنُ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: 41]

يقول الماتريدي: {قالوا آمنا بأفواههم} ولم يقل: آمنوا بأفواههم ليعلم أن القول به ليس من شرط الإيمان إنما الإيمان هو تصديق بالقلب لكن يعبر باللسان عن قلبه. ألا ترى أنه قال: {ولم تؤمن قلوبهم} والإيمان هو التصديق في اللغة يكون بالقلب لكن اللسان يعبر عن ضميره فهو ترجمان القلب في ما بين الخلق. ثم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَبَّنَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7] كأنه قربه إليهم ثم أقامه في قلوبهم. و يقول تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل 106] قلبه مطمئن أي راض بالإيمان.

7- التقوى

القلوب مراكز التقوى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ

اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]

ويقول جل شأنه في سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3]

يقول ابن عثيمين رحمه الله: {امتحن الله قلوبهم}. قال العلماء: معناها أخلصها للتقوى، فكانت قلوبهم مملوءة بتقوى الله عز وجل ولهذا تأدبوا بأداب الله تعالى التي وجهوا لها فغضوا أصواتهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الآية إشارة إلى أن الصلاح صلاح القلب، لقوله: {امتحن الله قلوبهم للتقوى}. وكما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «التقوى هاهنا» وأشار إلى صدره الذي هو محل القلب ثلاث مرات: «التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْدُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ - بِحَسَبِ

أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه
وماله وعرضه) رواه مسلم
لا شك أن التقوى تقوى القلب، أما تقوى الجوارح وهي إصلاح ظاهر
العمل، فهذا يقع حتى من المنافقين: { وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن
يقولوا تسمع لقلوبهم }.

8- الخشوع

أجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح قال الله
جل وعلا: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

والخشوع في أصل اللغة الانخفاض، والذل، والسكون. قال تعالى {وخشعت
الأصوات للرحمن} أي سكنت، وذلت، وخضعت، وقيل: الخشوع الانقياد
للحق، وهذا من موجبات الخشوع. وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب
لعلام الغيوب.

قال ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،
عماد الدين ^[55] (المتوفي سنة: 774هـ) في تفسيره: أما أن للمؤمنين أن تخشع
قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه
وتنقاد له وتسمع له وتطيعه.

يقول سيد قطب: إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم ؛ واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله ؛ فبعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوها إلى الإيمان برهها، ونزل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور ؛ وأراها من آياته في الكون والخلق ما يبصر ويحذر. وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتفاسد عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدا حين يمتد بها الزمن بدون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحق : (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل، فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون) وليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والخروج. إن هذا القلب البشري سريع التقلب، سريع النسيان. وهو يشف ويشرق فيفيض بالنور، ويرف كالشعاع؛ فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبلد وقسا، وانطمست إشراقته، وأظلم وأعتم ! فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع، ولا بد من الطرق عليه حتى يرق ويشف ؛ ولا بد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبدل والقساوة. وكان حذيفة رضي الله عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقبل له: وما خشوع النفاق ؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب، وقال الفضيل بن عياض :كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع

أكثر مما في قلبه، وقال حذيفة رضي الله عنه: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً، وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان.

9- التدبر

القلب محل التدبر يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مجد:24] ذكر الطبري في تفسيره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في أي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حُججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون أم على قلوبٍ أقفالها يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبّر

10- الطمأنينة والسكينة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

يقول ابن عباس: يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأننت. ويقول الفخر الرازي: فإن قيل: أليس أن الله تعالى قال في سورة الأنفال: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} والوجل ضد الاطمئنان، فكيف وصفهم هاهنا بالاطمئنان؟ والجواب من وجوه: الأول، أنهم إذا ذكروا

العقوبات ولم يأمنوا من أن يقدموا على المعاصي فهناك وصفهم بالوجل، وإذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة، سكنت قلوبهم إلى ذلك، وأحد الأمرين لا ينافي الآخر، لأن الوجل هو بذكر العقاب والطمأنينة بذكر الثواب، ويوجد الوجل في حال تفكيرهم في المعاصي، وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات. الثاني: أن المراد أن علمهم بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله . أما شكهم في أنهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فيوجب حصول الوجل في قلوبهم . الثالث : أنه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر عنه، إلا أنه حصل الوجل والخوف في قلوبهم أنهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أم لا، وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب أم لا.

ثم ذكر الله تبارك وتعالى اطمئنان القلب بالإيمان فقال: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أُكْرَةٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمِنْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿البقرة: 260﴾. يقول الغزالي: السكون في القلب شيء، واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى: {قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} فالتمس أن يكون مشاهدا إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله، فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا. التعبير بالاطمئنان القلبي يدل على أن الفكر قبل وصوله إلى مرحلة الشهود يكون دائما في حالة حركة وتقلب ولكن إذا وصل مرحلة الشهود يسكن ويهدأ. ثم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 4].

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 54].

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]. ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10]. كلما كثرت البراهين حصلت الطمأنينة في القلب يقول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ

فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ هود: 120 ﴾ . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: 32].

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَعَنَّ فُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: 113].

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْبِرُّ مَا سَكَتَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ) رواه أحمد. وفي رواية لحديث وابصة حين جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم وقد علم صلى الله عليه وسلم ذلك قبل السؤال قال: (استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) رواه الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن ومسلم مختصرا.

11- القلب محل الخير

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70].

وقد ورد في إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم نجم الدين الملقب بـ"بيان الحق" النيسابوري^[56] (المتوفي سنة: 553هـ) رحمه الله: {إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا} وهو الإيمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرته الرسول صلى الله عليه وسلم والتوبة عن محاربهته. وجاء في صحيح مسلم في باب الشفاعة في نهاية حديث أبي سعيد الخدري: ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما}.

12- وصف القلب بالإنابة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33]. يقول أبو حفص عمر بن علي الدمشقي ابن عادل،

الحنبلي النعماني [57] (ت 880هـ) في تفسيره للباب في علوم الكتاب: معنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب، ولم يره . وقال الضحاك والسدي : يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد . قال الحسن : إذا أرخى الستر وأغلق الباب. { وجاء بقلب منيب } هذه صفة مدح، لأن شأن الخائف أن يهرب، فأما المتقي فجاء ربه لعلمه أنه لا ينجي الفرار منه. وقوله : « منيب » أي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى . والباء في « بقلب » إما للتعدية، وإما للمصاحبة، وإما للسببية.

13- سلامة القلب

قال جل من قائل: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصفافات : 84]. ذكر أبو محمد، عبد الحق بن غالب ابن عطية، الأندلسي [58] (ت 542 هـ) في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: وقوله تعالى: { بقلب سليم } قال المفسرون: يريد من الشرك والشك وجميع النقائص التي تلحق قلوب بني آدم كالغل والحسد والكبر ونحوه قال عروة بن الزبير: لم يلعن شيئاً قط. ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: 89]. يقول أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني [59] ، في الفتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (ت 1250هـ) : اختلف في معنى القلب السليم، فقيل السليم من الشرك، فأما الذنوب، فليس يسلم منها أحد، قاله أكثر المفسرين. وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم

الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، وقيل هو القلب الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة. وقيل السالم من آفة المال والبنين. وقال الضحاك: السليم الخالص. وقال الرازي: أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة.

14- طهارة القلب

نفي الطهارة عن قلوب الكافرين يؤكد أن للقلب طهارة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسْوُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَمَ تُوْمِنُ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحْزِنُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا حَزِيٍّ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:41]

قال أبو علي وغيره: لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الحرج والضيق الدال على دنس الكفر عقوبة لهم. قال البلخي وغيره: لم يرد أن يطهرها من الكفر بالحكم بأنها بريئة منه ممدوحة بضده كما يطهر قلوب المؤمنين بذلك. ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا

طَعْمُكُمْ فَاَنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا
فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿الأحزاب: 53﴾

" ذلکم اطہر لقلوبکم وقلوبہن " من الميل إلى الفجور .

15- الانشراح

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125]

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه
الآية { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام } قال « إذا أدخل الله
النور القلب انشرح وانفسح . قالوا : فهل لذلك من آية يعرف بها؟ قال:
الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل
نزول الموت » .

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: 22] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَهُمْ وَعَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106]

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: 25] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [

الضحى: 11]

ألم نوسع لك صدرك بعد ما كان ضيقا لا يلج فيه الإيمان حتى هداه الله عز وجل، يقول الهواري: ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فشق نحري إلى كذا وكذا. قال: إلى أسفل بطني واستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب فيه من ماء زمزم، ثم كنز، أو قال حشي إيمانا وحكمة ثم أعيد مكانه" وتفسير الحسن: {ألم نشرح لك صدرك}، أي: بالإيمان. يقول الماتريدي: إن موسى سأل ربه أن يشرح له صدره. وذكر لمحمد صلى الله عليه وسلم أنه شرح له صدره بقوله: {ألم نشرح لك صدرك} ثم جائز أن يكون شرح صدورهم لتسع ما حمل عليهم من ثقل النبوة والرسالة، لتسع صدورهم لذلك، ويقدرُوا على القيام بذلك والوفاء به، أو أن يكون سألَهُ شرح صدره لما كان الرسل يَغضبون لله عند تكذيب قومهم إياهم حين يدعونهم إلى دين الله، ويحزنون على ذلك، فيمنعهم

غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة مقوله: {قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني} [الشعراء: 11 و12] أخبر أنه يخاف عند تكذيب قومه ضيق صدره وثقل لسانه، فسأله لذلك أن يشرح له صدره، ويطلق له لسانه. ويحتمل ما قاله بعض أهل التأويل: {رب اشرح لي صدري} أي لين لي قلبي لأن الرسل قد امتحنوا في حال واحدة بشيئين متضادين: بالغضب لله عند تكذيب قومهم إياهم، والرفقة عليهم والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب. فهذان أمران متضادان خص الرسل بهما. فجاز أن يكون سأل ربه أن يشرح له صدره ليتسع للأمرين جميعاً: الغضب له والرحمة عليهم.

16- شفاء القلوب

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]. يقول الطبري: وقوله عز وجل: وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ يقول: ودواء لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهل الجهال، فيبرئ به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به. وَهُدًى يقول: وهو بيان لحلال الله وحرامه، ودليل على طاعته ومعصيته. وَرَحْمَةٌ يرحم بها من شاء من خلقه، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى،

وينجي به من الهلاك والردى. وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفر به فهو عليه عى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لظى. وقوله تعالى: (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) إن للدين آفات وأدواء تضر به، وتتلفه كما لهذه الأبدان آفات وأمراض، تعمل في إتلافها وإهلاكها. ثم جعلت لآفات الأبدان وأمراضها أدوية، تشفى بها الأبدان المريضة. فعلى ذلك جعل هذا القرآن لهذا الدين دواء يداوى به، فيذهب بآفات الدين وأمراضه كما تعمل الأدوية في دفع آفات الأبدان وأمراضها. لذلك سماه موعظة وشفاء لما في الصدور والله أعلم.

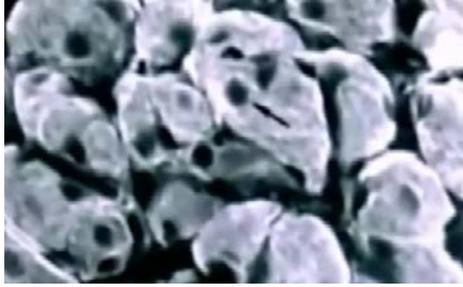
جاء أيضا في السنة النبوية الكثير من الصفات الحميدة للقلب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الصفات التالية:

17- صلاح القلوب

من المعلوم أن الدم الذي يضخه القلب يقوم بحمل الغذاء والأوكسجين لجميع أنحاء الجسم ويعود بالفضلات والسموم ليطرحها. وهذا يعني أن تعطل القلب وحركته أو حدوث أي خلل فيه سيؤدي ذلك إلى خلل في الدورة الدموية وبالتالي خلل في نظام غذاء أجهزة الجسم وبالنتيجة سوف يمتد الخلل لكافة أعضاء الجسد. كما يعتقد العلماء اليوم بأن القلب يتواصل مع الدماغ ويؤثر فيه وفي باقي أعضاء الجسم ولذا فإن صلاحه يعتبر صلاحا للجسد كله كما أن فساده يعتبر فسادا للجسد كله، وهذا ما نراه اليوم وبخاصة في عمليات القلب الصناعي، حيث نرى بأن جميع أنظمة

الجسم تضطرب، لقد سبق النبي عليه الصلاة والسلام علماء الغرب إلى الحديث عن دور القلب وأهميته، بل إنه جعل للقلب دوراً مركزياً فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مَشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنْ اتَّقَى الشَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يوشكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ؛ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمِيًّا، أَلَا وَإِنَّ حَمَى اللهِ مُحَارَمَهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقد ورد في معجم مختار الصحاح: المَضْغَةُ قِطْعَةُ لَحْمٍ وَقَلْبُ الْإِنْسَانِ مُضْغَةٌ مِنْ جَسَدِهِ. وحجم المضغ ما يمكن إمساكه في راحة اليد وإيلاجه في الفم والقلب أكبر حجما من هذا كله. لكن وباعتبار مخ القلب الذي اكتشف في الأذنين الأيمن؛ نجد أن دماغ القلب عبارة عن مضغة؛ ويتضح ذلك في الصورة التي حصل عليها طبيب الأعصاب الدكتور أرمور الأستاذ بكلية الطب بجامعة مونتريال في كندا لدماغ القلب كما سماه هو.:



الرسم 25 : صورة لدماع القلب وهو يشبه المضغفة وفيه نكت سوداء

18- القلب محل الأمانة

دماع القلب (الصورة) يوجد في أعلى الأذنين الأيمن حيث ملتقى العروق مع القلب أي جذر القلب وهذا ما يؤكد حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الأمانة فقد روى مسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر : حدثنا أن (الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة) . ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال : (ينام الرجل النوم، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النوم فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفض فتراه منتبرا وليس فيه شيء - ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله؛ فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال : إن في بني فلان رجلا أميننا حتى يقال للرجل : ما أجلدته ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت ؟ لئن كان مسلما ليردنه علي

دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبائع منكم إلا فلانا وفلانا).

إذن الأمانة محلها في جذر قلوب الرجال ومن المعلوم أن الجذر هو ما ارتبط بالعروق. وبالتحديد عند العقدة الجيبية الموجودة في جدار الأذين الأيمن، والتي تتولد منها إشارات كهربائية تنتشر في القلب وهي مخ القلب الذي يوجه الإنسان في كل تصرفاته كما ورد تفصيله سابقا في المحور العلمي.

19- القلب محل الصدق

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليصدق فتنتك في قلبه نكتة بيضاء وإن الرجل ليكذب الكذبة فيسود قلبه). رواه الترمذي وصححه.

20- القلب محل البر وحسن الخلق

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْبِرُّ مَا سَكَنتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ) رواه أحمد. وهذا يعني أن حسن الخلق محله القلب لأن البر حسن الخلق فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) رواه مسلم.

الفصل الثالث: الصفات المذمومة

قال أهل المعاني : وصف الله تبارك وتعالى قلوب الكفار بعدة أوصاف مذمومة كالضيق والقساوة والانصراف والحمية والإنكار والضلال والزيغ والميل عن الحق كما وصفها بالتكبر والمرض من نفاق وحسد وقانا الله وإياكم من أمراض القلوب :

1- الضلال (الختم الطبع الران الإقفال و...)

ذكر الله تبارك وتعالى في عدة آيات الختم والطبع والران إلى غير ذلك من أنواع الإقفال على قلوب الضالين حتى لا يهتدوا وذلك لما يعلم في قلوبهم من الضلال والعياذ بالله:

1-1 الختم على القلوب

يقول الله عز وجل في سورتي الأنعام والبقرة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:46]

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:7].

نزلت هذه الآية في مشركي العرب: شيبه وعتبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وغيرهم وكان هذا تحدي من القرآن بأن هؤلاء

القوم لن يؤمنوا لأنهم ختم على قلوبهم. يقول القرطبي: بين سبحانه في هذه الآية المانع لهم من الإيمان بقوله: "ختم الله" والختم مصدر ختمت الشيء ختما فهو مختوم ومختم، شدد للمبالغة، ومعناه التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء، ومنه: ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك، حتى لا يوصل إلى ما فيه، ولا يوضع فيه غير ما فيه. والختم يكون حسيا كما بينا، ومعنويا كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والتفكر في آياته. فإن قالوا: إن معنى الختم والطبع والغشاوة التسمية والحكم والإخبار بأنهم لا يؤمنون، لا الفعل. قلنا: هذا فاسد؛ لأن حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعا مختوما، لا يجوز أن تكون حقيقته التسمية والحكم، ألا ترى أنه إذا قيل: فلان طبع الكتاب وختمه، كان حقيقة أنه فعل ما صار به الكتاب مطبوعا ومختوما، لا التسمية والحكم. هذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة، ولأن الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال تعالى: "بل طبع الله عليها بكفرهم" [النساء: 155]. وأجمعت الأمة على أن الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي عليه السلام والملائكة والمؤمنين ممتنع، فلو كان الختم والطبع هو التسمية والحكم لما امتنع من ذلك الأنبياء والمؤمنون، لأنهم كلهم يسمون الكفار بأنهم مطبوع على قلوبهم، وأنهم مختوم عليهم وأنهم في ضلال لا يؤمنون، ويحكمون عليهم بذلك. فثبت أن الختم والطبع

هو معنى غير التسمية والحكم، وإنما هو معنى يخلقه الله في القلب يمنع من الإيمان به، دليله قوله تعالى: "كذلك نسلكه في قلوب المجرمين إلي قوله لا يؤمنون به" [الحجر: 13، 12]. وقال: "وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه" [الأنعام: 25]. أي يفقهوه، وما كان مثله أما قوله: "على قلوبهم" ففيه دليل على فضل القلب على جميع الجوارح والقلب للإنسان وغيره . وخالص كل شيء وأشرفه قلبه، فالقلب موضع الفكر هذا مما ذكره القرطبي في تفسير هذه الآية أما الطبري فأوضح أن أصل الختم الطبع والخاتم هو الطابع يقال منه ختمت الكتاب إذا طبعته فإن قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف، قيل فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمر، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات، ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف. ويقول الله تبارك وتعالى في سورة الشورى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَجُحِّ الْحَقِّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: 24]

يقول الفخر الرازي: {فإن يشأ الله يختم على قلبك} فيه وجوه (الأول) قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قوله إنه مفتر كذاب (والثاني) يعني بهذا الكلام أنه إن يشأ الله يجعلك من

المختوم على قلوبهم حتى يفترى عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل هذه الحالة، والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد، ومثاله أن ينسب رجل بعض الأمناء إلى الخيانة فيقول الأمين، لعل الله خذلني لعل الله أعى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعى القلب لنفسه، وإنما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه . ثم قال : { إنه عليم بذات الصدور } أي إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك، وعن قتادة يختم على قلبك ينسبك القرآن ويقطع عنك الوحي، بمعنى لو افترى على الله الكذب لفعل الله به ذلك . ثم يقول الله جل وعلا: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23]

2-1 الران على القلوب

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَأَلَّا بِلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]. أورد الطبري: عن الأعمش قال أرانا مجاهد بيده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذا يعني الكف فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال بإصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضم وقال بإصبع أخرى فإذا أذنب ضم وقال بإصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها قال ثم يطبع عليه بطابع قال مجاهد وكانوا يرون أن ذلك الرين .

يقول أبو حامد الغزالي: قال علي كرم الله وجهه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهكت الحرمات تمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك الختم وتلا قوله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم} وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تملو قلبه، فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} رواه أحمد. وهكذا تؤدي الذنوب إلى قسوة القلب؛ أولها خاطر، ثم يؤدي إلى القسوة والرین. وآثارها المذمومة مثل دخان مظلم، يتصاعد إلى مرآة القلب، ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم، ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى، وهو الطبع، وهو الرین، قال الله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}.

3-1 الطبع على القلوب

قال الله تبارك وتعالى في سورتي الأعراف والروم: ﴿تِلْكَ الْأَفْرَى نَقِصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 101].
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 59].

يقول أبو عبيدة: {كذلك يطبع الله} يقال للسيف إذا جرب وصدئ: قد طبع السيف وهو أشد الصدأ.

ثم يقول جل وعلا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: 74].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: 16].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100].

ذكر الشنقيطي أن السمع في القرآن وفي اللغة يطلق إطلاقين: يطلق السمع على ما سمعه الإنسان وسمعته أذنه فوعاه قلبه. ويطلق السمع على القبول والاستجابة، فالعرب تقول: سمعا وطاعة. أي: إجابة وقبولاً. ومنه هذه الآية. فقوله: {فهم لا يسمعون} السمع المنفي هنا هو سمع الطاعة والقبول. أي: إن الله إذا طبع على القلوب فالأسماع تسمع ولكن ذلك السمع لا ينشأ

منه طاعة ولا قبول، والله جل وعلا بين أنه إذا وقع على القلوب مثل هذا الطبع وما جرى مجراه أنهم لا يستطيعون أن يسمعو . ونفي الاستطاعة ذكره في آيات كقوله: {ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون} [هود: 20] فنفى عنهم استطاعة السمع. وكقوله: {الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا} [الكهف: 101] وقال جل وعلا في الفرقان : {فلا يستطيعون سبيلا} [الفرقان: 6] وهذه الاستطاعة نفىها إنما هو بحسب مشيئة الله من معاقبة الإنسان على ذنب، لأن هذه الآيات فيها سؤال معروف مشهور لطالب العلم أن يسأل عنه ويجاب عنه، وهو أن يقول طالب العلم: إن الله في غاية الإنصاف والعدالة، فهو جل وعلا منصف عدل في غاية الإنصاف والعدالة؛ وفي هذه الآيات بين أنه طبع على قلب هذا الإنسان، قال في بعض الآيات: {ختم الله على قلوبهم} [البقرة: 7] [ونطبع على قلوبهم } [الأعراف: 100] { وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا } [الكهف : 57] ومن جعل على قلبه الطبع والختم، وجعل في عينه الغشاوة، وفي أذنه الوقر، فهذا في حكم العاجز، فعلى هذا يكون في هذه الآيات شبهة للجبرية، فنحن نقول: إن القرآن العظيم بين أن هذا الطبع وهذا الختم والإزاغة النهائية عن الحق لا يأتي الإنسان إلا بسبب ذنب من ذنوبه، فهو جزاء وفاق على بعض الذنوب، وذلك ما دلت عليه آيات كثيرة أن الله جل وعلا يسبب للإنسان الضلالة بسبب ارتكاب الذنوب كما يسبب له الهدى بسبب الطاعات، فالعبد إذا سارع إلى الكفر، وتكذيب

الرسول، وإلى ما يسخط الله عاقبه الله بان زاده ضلالا فوق ضلاله، وظلاما على ظلامه، وجاءه هذا الطبع بسبب كفره وبغيه وتمرده على الله. وقد بين جل وعلا هذا في آيات كثيرة كقوله: { بل طبع الله عليها بكفرهم } [النساء: 155] [الباء] في قوله: { بكفرهم } سببية، فبين أن هذا الطبع بسبب كفرهم الذي سارعوا إليه، وكقوله جل وعلا: { ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم } [المنافقون: 3] وكقوله: { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } [الصف: 5] ما أزاغها بالطبع والختم حتى بادروا إلى الذنوب والكفر فعاقبهم الله وجزاهم جزاء وفاقا، وكقوله: { في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا } [البقرة: 10] وكقوله: { وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون 124 وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون 125 } [التوبة: الآيتان 124، 125] والآيات القرآنية كثيرة في هذا، ومن هنا يعلم أن الحسنات وطاعة الله يجعلها الله سببا لهداية عبده، كما أن السيئات والمبادرة إلى ما لا يرضيه تكون سببا للرين على القلوب والطبع عليها كما قال: { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } [المطففين: آية 14] وقال في الهدى: { والذين اهتدوا زادهم هدى } { محمد: آية 17 } { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } { العنكبوت: آية 29 } وأمثال ذلك من الآيات .

يقول الله تبارك وتعالى في وصف الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في سورة التوبة: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87]. ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءٌ رَضُوا بَأَن يُكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 93]. ثم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [النحل: 108]. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35] جاء في تفسير الجلالين: { يطبع } يختم { الله } بالضلال { على كل قلب متكبر جبار } بتنوين قلب ودونه، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه وبالعكس، وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلب.

4-1 الإقفال على القلوب

قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

قال مجاهد الران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الإقفال والإقفال أشد ذلك كله.

5-1 الأكنة على القلوب

الأكنة هي جمع كنان، وهو ما غطى الشيء، ومنه كنانة النبل يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ

يَقْفَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأَ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يُقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿[الأنعام: 25]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأَ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57]

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأَ وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَتَاكَ فِي الْفُرْعَانِ وَحَدَّهُ وَلَوْأَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46]

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْأَ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: 5]

6-1 القلوب الغلف

يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88] جاء في تفسير الطبري: الغلف جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختتن: أغلف، وكما يقال للسيف إذا كان في غلافه: سيف أغلف، وقوس غلفاء، وجمعها «غلف»، يعني أنها في أغطية. وعن ابن عباس: {وقالوا قلوبنا غلف} أي في أكنة أو المطبوع عليها.

وعن حذيفة قال: القلوب أربعة. ثم ذكرها، فقال فيما ذكر: وقلب أغلف: معصوب عليه، فذلك قلب الكافر.

7-1 الشد على القلوب

قال الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]

واشدد يعني اختم على قلوبهم.

8-1 صرف القلوب

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً تَنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 127]. صرفت عن كل رشد وهدى وقال أبو إسحاق: أضلهم الله مجازاة على كفرهم.

9-1 الغمرة

قال جل من قائل: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: 63] قال قتادة: أي في غفلة من هذا. وقال الطبري: قلوبهم في غمرة عن ما في هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبير والحجج. وعنى بقوله: {مِنْ هَذَا} أي من القرآن.

10-1 الإحالة بين المرء وقلبه

يقول الله جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشِرُونَ﴾ [الأنفال:24].

قال الطبري: ذلك خبر من الله عزّ وجلّ أنه أملك لقلوب عباده منهم، وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً، أو أن يفهم إلاّ بإذنه ومشيتته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل، وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكافر وبين الإيمان، وقول من قال: يحول بينه وبين عقله، وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه لأن الله عزّ وجلّ إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عمّ بقوله: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء، والكلام محتمل كلّ هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له.

2- المرض (الكفر النفاق الحسد الحقد الفجور و..)

مرض القلب عدم قيامه بوظائفه واختلال مهامه قال الغزالي: اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به , وإن ما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب, فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه, والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه, قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) "الذاريات 56" ففي كل عضو فائدة, وفائدة القلب الحكمة والمعرفة. وجاء ذكر أمراض القلوب في عدة آيات من الذكر الحكيم فقد وصف الله تبارك وتعالى قلوب الكفار والمنافقين بأنواع الأمراض والعياذ بالله:

1-2 الكفر

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:106] يقول زيد بن علي : وقوله تعالى: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾، معناه: انبسط إلى ذلك وطابت به نفسه. وهناك آيات جاءت بصيغة السلك وهو الإدخال فقال الله تبارك وتعالى في سورتي الشعراء

والحجر: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: 200]

﴿كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 12]

يقول الطبري رحمه الله: القول في تأويل قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّتُهُ الْأُولِينَ}. يقول تعالى ذكره : كما سلطنا الكفر في قلوب شيع الأولين. بالاستهزاء بالرسول، كذلك نفع ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله لا يؤمنون به يقول: لا يصدقون: بالذكر الذي أنزل إليك. والهاء في قوله: نَسُكُّهُ من ذكر الاستهزاء بالرسول والتكذيب بهم وعن قتادة: {كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ}، قال : إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا به . وعن الحسن، في قوله : {كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} قال : الشرك . قال ابن زيد في قوله : {كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ} قال : هم كما قال الله، هو أضلهم ومنعهم الإيمان . قال الحسن و قتادة : يسلك الاستهزاء بإخطاره على الببال ليجتنبوه، يقال : سلكه فيه يسلكه سلكا وسلوكا، وكما أن الله جل وعلا يسلك في قلوب المجرمين الكفر كذلك يحبب الإيمان ويزينه في قلوب المؤمنين يقول تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} [الحجرات: 7]

ثم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 125] أي: كفرا إلى كفرهم

2-2 النفاق

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاءٌ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 49]
 ذكر السمرقندي في قوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} يعني شكاً ونفاقاً. قال الحسن: هم قوم من المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر، فسموا منافقين. وقال الضحاك: نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه؛ ويقال: معناه {إذ يقول المنافقون} وهم الذين في قلوبهم مرض.

ثم يقول الله جل وعلا: ﴿فَاعْقَبْتُهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: 77]
 ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: 52]

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]

قال الشعراوي: المنافقون هم أنفسهم الذين في قلوبهم مرض، فهما شيء واحد، وهذا العطف يسمونه "عطف البيان"

ثم يقول عز من قائل: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:60]

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج:53]

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ هُمُ﴾ [محمد:20]

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:31].

عن قتادة وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : أَي نفاق.

3-2 الحقد

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: 29]. يقول البغوي : قوله تعالى: {فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض} يعني المنافقين، {أن لن يخرج الله أضغانهم} أي: لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدها: ضغن.

4-2 الحسد

يقول جل من قائل: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 10]

جاء في المنتخب: هؤلاء في قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة، وزادهم الله على مرضهم مرضاً بنصره للحق، إذ كان ذلك مؤذياً لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم، ول هؤلاء عذاب أليم في الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

ويقول الله تبارك وتعالى في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْشَوْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا

أوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: 9].

يقول الطبري: وقوله: { وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا } يقول جل ثناؤه: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم حاجة، يعني حسدا مما أوتوا، يعني مما أوتي المهاجرون من الفيء.

2-5 الغل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَامِلِينَ﴾ [الحجر: 47] أي أخرجنا ما في قلوبهم من الغش الذي كان في الدنيا بعضهم لبعض، فصاروا متحابين.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولًا رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43] قال القتيبي: الغل والحسد والعداوة، وقيل: الغل والغش واحد؛ وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد، وقيل: الغل الحقد. ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10]

6-2 الشك والريبة

قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45] جاء في تفسير

الفخر الرازي: قوله: {وارتابت قلوبهم} يدل على أن محل الريب هو القلب

فقط، ومتى كان محل الريب هو القلب كان محل المعرفة والإيمان أيضا هو

القلب، لأن محل أحد الضدين يجب أن يكون هو محلا للضد الآخر، ولهذا

السبب قال تعالى: { أولئك كتب في قلوبهم الإيمان }

ويقول الشنقيطي في قوله تعالى: { وارتابت قلوبهم } شككت قلوبهم . { وارتابت

{ معناه : شككت . وأصلها (وارتببت قلوبهم) أي : داخلها الريب . أصل الريب

في لغة العرب معناه الإزعاج والإفلاق، تقول العرب : رابه الأمر . إذا أزعجه

وأقلقه . وهذا هو معناه الحقيقي، وكلما جاء الريب في القرآن والارتباب

فمعناه الشك على كل حال . وإنما سمي الشاك مرتابا وأطلق اسم الريب

على الشك لأن الشاك لا تطمئن نفسه إلى طرف الإيجاب، ولا إلى طرف

السلب، فهو تارة يميل إلى الإيجاب، وتارة يميل إلى السلب، فنفسه منزعة

قلقة ليست مطمئنة إلى الثبوت ولا إلى النفي . ومعنى { وارتابت قلوبهم }

شككت قلوبهم والعياذ بالله . وأسند الارتباب إلى القلوب لأن القلب هو محل

الإدراك الذي يكون فيه الشك، ويكون فيه اليقين، ويكون فيه العلم

والإدراك. كما يزين الشيطان لأوليائه أعمالهم السيئة في قلوبهم ومن ذلك

ظن السوء كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح 12] أي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم ذكر ذلك البغوي.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 110] قال ابن عباس: شكاً ونفاقاً

﴿أَيُّ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: 50]

7-2 الفجور

قال جل وعلا: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب 32]. {فيطمع الذي في قلبه مرض} يعني الفجور.

3- وصف القلب بالتقلب

قال جل من قائل: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 37] ذكر السمعاني في قول الله تبارك وتعالى: (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) أي : تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك

والكفر، وتفتح فيه الأبصار من الأغطية، ويقال: يتقلب القلب بين الخوف والرجاء، فإنه يخاف الهلاك، ويطمع النجاة، وأما تقلب البصر حتى من أين يؤتى كتابه من شماله أو من يمينه، وقال: تتقلب القلوب في الجوف، وترتفع إلى الحنجرة فلا تزول ولا تخرج، وأما تقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته،

﴿وَتُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:110].

يقول القرطبي: القلب في الأصل مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته على بدائه. وقلبت الإناء: رددته على وجهه. ثم نقل هذا اللفظ فسعي به هذا العضو لسرعة الخواطر إليه ولتردها عليه كما قيل:

ما سعي القلب إلا من تقلبه ***** فاحذر على القلب من قلب وتحويل.
روى ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مثل القلب مثل ريشة تقلبها الرياح بفلاة). ولهذا المعنى كان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك). فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا مع عظيم قدره وجلال منصبه فنحن أولى بذلك اقتداء به، والله جل وعلا مقلب القلوب، ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبها كيف

يشاء). وبسبب ذلك الكفر والعناد، قلبنا أبصارهم فأزغناها عن الحق، وقلبتهم فأزغناها عن الحق، ولما زاغوا أزاع الله قلوبهم.

4- وصف القلب بالغفلة

قال الله تبارك وتعالى في سورة الكهف: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف 28]

ذكر التستري في قوله تعالى: {من أغفلنا قلبه} قال: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة. وقال: إن للقلب ألف موت، آخرها القطيعة عن الله عز وجل، وإن للقلب ألف حياة، آخرها لقاء الحق عز وجل، وإن في كل معصية للقلب موتا، وفي كل طاعة للقلب حياة. ويقول الزمخشري: {من أغفلنا قلبه} أي من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان. أو وجدناه غافلا عنه، كقولك: أجبنته وأفحمته وأبخلته، إذا وجدته كذلك. أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة، أي لم نسمة بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله {واتبع هواه} وقرئ «أغفلنا قلبه» بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه غافلين، من أغفلته إذا وجدته غافلا {فرطاً} متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم «فرس فرط» متقدم للخيل.

5- وصف القلب بالزيف

قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ
أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5]

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117] ويقول الله تبارك وتعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ
فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: 4]. يقول الماوردي: {فَقَدْ
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} يعني بالتوبة وفي "صغت" ثلاثة أقاويل: أحدها: يعني
زاغت، قاله الضحاک الثاني: مالت، قاله قتادة، قال الشاعر:
تُصَغِي الْقُلُوبُ إِلَى أَعْرَ مَبَارِكٍ** مِنْ نَسْلِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
والثالث: أئمت، حكاها ابن كامل.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113] يقول زيد بن علي: وقوله تعالى ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ
أَفئِدَةٌ﴾ معناه تميل والأفئدة جمع فؤاد ويقال: صغوت إليه، وأصغيت إليه.

وقوله تعالى: {وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} معناه يتوافقوا ويعملوا. {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ} من صغوت إليه أي: ملئت إليه وهويته؛ وأصغيت إليه لغة، قال ذو الرمة: تُصْغَى إِذَا شَدَّهَا بِالرَّحْلِ جَانِحَةً *** حتى إذا ما استَوَى فِي عَرَزِهَا تَثِبُ

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:7] (في قلوبهم زغ) أي: ميل عن الهدى.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران 8]

{ربنا لاتزغ قلوبنا} أي لا تملها عن الحق والإيمان بك والتسليم لك. يقال زاغت الشمس تزيغ زيفا أي مالت.

6- وصف القلب بالإثم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ

وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ [البقرة: 283]

[البقرة: 283]

ذكر الفخر الرازي: أن قول الله تعالى {ومن يكتمها فإنه آثم قلبه} فيه مسائل: المسألة الأولى: الآثم الفاجر، روي أن عمر كان يعلم أعرابيا {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم} [الدخان: 43، 44] فكان يقول: طعام اليتيم، فقال له عمر: طعام الفاجر. فهذا يدل على أن الآثم بمعنى الفجور. المسألة الثانية: قال صاحب «الكشاف»: آثم خبر إن وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه وقرئ {قلبه} بالفتح كقوله {سفه نفسه} [البقرة: 130] وقرأ ابن أبي عبيدة {آثم قلبه} أي جعله آثما. المسألة الثالثة: اعلم أن كثيرا من المتكلمين قالوا: إن الفاعل والعارف والمأمور والمنهي هو القلب، وهؤلاء يتمسكون بهذه الآية ويقولون: إنه تعالى أضاف الآثم إلى القلب فلولا أن القلب هو الفاعل والا لما كان آثما. وأجاب من خالف في هذا القول بأن إضافة الفعل إلى جزء من أجزاء البدن إنما يكون لأجل أن أعظم أسباب الإعانة على ذلك الفعل إنما يحصل من ذلك العضو، فيقال: هذا مما أبصرته عيني وسمعتة أذني وعرفه قلبي، ومن المعلوم أن أفعال الجوارح تابعة لأفعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلوب من الدواعي والصوراف، فلما كان الأمر كذلك فلهذا السبب أضيف الآثم هاهنا إلى القلب. ويؤكد هذا المعنى أحاديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن ومسلم مختصرا عن وابصة بن

معبد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (جِئْتُ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِيمِ فَقَالَ نَعَمْ فَجَمَعَ أَنَامِلُهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ يَهْنُ فِي صَدْرِي وَيَقُولُ يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِيمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ). وهو من أحاديث الأربعين النووية، وقد حسنه الألباني لغيره في "صحيح الترغيب". وقد جاءت أحاديث أخرى تدل على ما دل عليه حديث وابصة، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِيمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكُرِهَتْ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) رواه مسلم. وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْبِرُّ مَا سَكَتَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِيمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ) رواه أحمد.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أي: حتى وإن أفتاك مفتٍ بأن هذا جائز، ولكن نفسك لم تطمئن ولم تنشرح إليه فدعه، فإن هذا من الخير والبر، إلا إذا علمت في نفسك مرضاً من الوسواس والشك والتردد فلا تلتفت لهذا والنبي صلى الله عليه وسلم إنما يخاطب الناس أو يتكلم على الوجه الذي ليس في قلب صاحبه مرض" فالذي يستفتي قلبه ويعمل بما أفتاه به هو صاحب القلب السليم، لا القلب المريض، فإن صاحب القلب المريض لو استفتي قلبه عن الموبقات والكبائر لأفتاه أنها حلال لا شبهة فيها

"! (الإثم ما حاك في نفسك) أي : تردد وصرت منه في قلق (وكرهت أن يطلع عليه الناس) لأنه محل ذم وعيب، فتجدك متردداً فيه وتكره أن يطلع عليك الناس. أما الشعراوي فيقول : لذلك يأتي الأمر من الحق؛ (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه). وقد يسأل الإنسان: هل الكتم هنا صفة للقلب أو للإنسان الذي لم يقل الشهادة؟. يقول الشاعر: إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ***** جعل اللسان على الفؤاد دليلاً وساعة يؤكد الله شيئاً فهو يأتي بالجراحة التي لها علاقة بهذا الصد، فتقول : أنا رأيته بعيني وسمعته بأذني، وأعطيته بيدي ومشيت له برجلي . إنك تذكر الجراحة التي لها دخل في هذه المسألة. وعندما يقول الحق: (فإنه آثم قلبه) لأن كل الجوارح تخضع للقلب.

7- وصف القلب بالإنكار

قال جل من قائل: ﴿إِنَّكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:22].

يقول السمعاني: قوله تعالى: (قلوبهم منكراة) أي: جاحدة، وهذا دليل على أن العبرة بجحد القلب وإنكاره. وبذلك قال البغوي.

8- وصف القلب باللهو

قال الله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3] يعني غافلة

قلوبهم عنه قول مقاتل وقال غيره : معناه طالبة للهو، هازلة . واللهو الهزل الممتع.

9- القلب محل التكبر

يقول تعالى في وصفه صدور الذين يجادلون في آياته بغير سلطان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56] ويقول الله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبْرٌ مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35] يقول الفخر الرازي: { كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار } قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي { قلب } منونا { متكبر } صفة للقلب والباقون بغير تنوين على إضافة القلب إلى المتكبر قال أبو عبيد الاختيار الإضافة لوجوه: الأول: أن عبد الله قرأ { على كل قلب متكبر } وهو شاهد لهذه القراءة، الثاني: أن وصف الإنسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما، وأما الذين قرأوا بالتنوين فقالوا إن الكبر قد أضيف إلى القلب في قوله { إن في صدورهم إلا كبر } وقال تعالى: { فإنه أثم قلبه } وأيضا فيمكن أن يكون ذلك على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر، قالوا ومن أضاف، فلا بد له من تقدير حذف، والتقدير

يطبع الله على قلب كل متكبر . قوله { كذلك يطبع الله } يدل على أن الكل من الله والمعتزلة يقولون إن قوله { كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار } يدل على أن هذا الطبع إنما حصل من الله لأنه كان في نفسه متكبرا جبارا وعند هذا تصير الآية حجة لكل واحد من هذين الفريقين من وجه، وعليه من وجه آخر، والقول الذي يخرج عليه الوجهان ما ذهبنا إليه وهو أنه تعالى يخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب، فتصير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يدعون إلى الطاعة والانقياد لأمر الله، فيكون القول بالقضاء والقدر حيا ويكون تعلييل الصد عن الدين بكونه متجبرا متكبرا باقيا، فثبت أن هذا المذهب الذي اخترناه في القضاء والقدر هو الذي ينطبق لفظ القرآن من أوله إلى آخره عليه. لا بد من بيان الفرق بين المتكبر والجبار، قال مقاتل {متكبر} عن قبول التوحيد {جبار} في غير حق، وأقول كمال السعادة في أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل التكبر كالمضاد للتعظيم لأمر الله والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله والله أعلم. كما ذكر مسلم في باب تحريم الكبر وبيانه: عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس" وعن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل

النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء" دل هذا كله على أن محل الكبر هو القلب.

10- النفور والاشمئزاز

قال جل من قائل: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45]

ذكر ابن الجوزي: فيه ثلاثة أقوال: أحدها: انقبضت عن التوحيد، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: استكبرت، قاله قتادة. والثالث: نفرت، قاله أبو عبيدة، والرزاج. وجاء في تفسير الجالين: نفرت وانقبضت.

11- القسوة

يقول تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

يقول الشعراوي - 1419هـ: لماذا ذكر الحق سبحانه وتعالى القلب ووصفه بأنه يقسو ولم يقل نفوسكم لأن القلب هو موضع الرقة والرحمة والعطف. وإذا ما جعلنا القلب كثير الذكر لله فإنه يمتلئ رحمة وعطفاً. والقلب هو العضو الذي يحسم مشاكل الحياة. فإذا كان القلب يعمر باليقين والإيمان

فكل جارحة تكون فيها خميرة الإيمان. إذن فالقلب هو منبع اليقين ومصب الإيمان، وكما أن الإيمان في القلب فإن القسوة والكفر في القلب. فالقلب حينما ينسى ذكر الله يقسو لأنه يعتقد أنه ليس هناك إلا الحياة الدنيا وإلا المادة فيحاول أن يحصل منها على أقصى ما يستطيع وبأي طريقة فلا تأتي إلا بالظلم والطغيان وأخذ حقوق الضعفاء، ثم لا يفرط فيها أبدا لأنها هي منتهى حياته فلا شيء بعدها. إنه يجد إنسانا يموت أمامه من الجوع ولا يعطيه رغيفا. وإذا خرج الإيمان من القلب خرجت منه الرحمة وخرج الإيمان من كل الجوارح فلمحة الإيمان التي في اليد تخرج فتمتد اليد إلى السرقة والحرام. ولمحة الإيمان التي في العين تخرج فتنظر العين إلى كل ما حرم الله. ولمحة الإيمان التي في القدم تخرج فلا تمشي القدم إلى المسجد أبدا ولكنها تمشي إلى الخمارة وإلى السرقة. لأنه كما قلنا القلب مخزن الإيمان في الجسم.

ويقول عز وجل: ﴿فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13]

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43]

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 53]

﴿أَقَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: 22]

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16]

12- الغلظة

يقول جل من قائل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]

ذكر الطبري: أما قوله : { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ } فإنه يعني بالفظ: الجافي، وبالغليظ القلب: القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رافة.

13- الحسرة والحزن

أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن التوتر النفسي والضغط والغضب تعتبر عوامل مدمرة لصحة القلب وكلما وقع حزن أو حسرة أو غضب نجد

لذلك تأثيراً بليغاً في القلب أي أنه هو محل القلق والحزن والحسرة يقول الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران:156].

الحسرة الندامة على فوت المحبوب وجاء في الخازن: يعني غما وتأسفاً

14- الغيظ

يقول جل من قائل: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:15].

يقول أبو زهرة^[60] محمد أحمد مصطفى (ت 1394هـ) في تفسيره زهرة التفاسير لأبي زهرة: (ويذهب غيظ قلوبهم) الضمير في قوله غيظ قلوبهم يعود إلى الذين تحتاج صدورهم إلى شفاء بنصر مؤزر يدفع الباطل ويزهقه، ويرفع الحق ويعليه، والغيظ انفعال النفس بالألم من رؤية الباطل عالياً والحق مستكيناً أو مستخذياً، فإذا انتصر الحق وعلا، ذهب ذلك الغيظ، واستقامت النفس على سواء الصراط، وارتاحت الضمائر المؤمنة.

15- البغضاء

قال الله جل وعلا: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118].

أورد رشيد رضا في قول الله عز وجل: (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) أي قد ظهرت علامات بغضائهم لكم من كلامهم، فهي لشدها مما يعوزهم كتمانها، ويعز عليهم إخفاؤها، على أن ما تخفي صدوركم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها.

16- الحمية

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26]

يقول: أبو الطيب: **محمد صديق خان** ^[61] **القنوجي الهندي البخاري** (ت1307هـ)، من رجال الإصلاح الإسلامي في فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي: {إذ جعل} أي: اذكر وقت أن جعل {الذين كفروا في قلوبهم الحمية} أي: أضمرها وأصروا عليها، والحمية الأنفة يقال فلان ذو حمية أي: ذو أنفة وغضب وتكبر وتعاضم، أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم، والجعل بمعنى الإلقاء، {حمية الجاهلية} بدل من الحمية، قال مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا

ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفسنا، واللوات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية هي حمية الجاهلية، التي دخلت في قلوبهم .

17- الوسوسة

يقول تعالى ذكره وجل شأنه: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس:5].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16]

قال مقاتل: يعني قلبه { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } وهو عرق خالط القلب فعلم الله تبارك وتعالى أقرب إلى القلب من ذلك العرق. وتدل هذه الآية دلالة واضحة على أن التفكير مرتبط بقلب الإنسان وبالتحديد عند منتهى العرق الوريدي العلوي الذي ينتهي عند العقدة الجيبية الموجودة في جدار الأذنين الأيمن، والتي تتولد منها إشارات كهربائية تنتشر في القلب وهي مستقلة عن الدماغ ويعتقد كثير من العلماء أنها هي مخ القلب الذي يوجه الإنسان في كل تصرفاته كما ورد تفصيله سابقا في المحور العلمي. ويؤكد هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الأمانة وأنها نزلت في جذر قلوب الرجال فمن المعلوم أن الجذر هو ما ارتبط بالعروق.

18- تشابه القلوب

يقول الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 118]. { تشابهت قلوبهم } أي تماثلت قلوب هؤلاء وقلوب من قبلهم في العى والقسوة والعدا، والألسنة ترجمان القلوب، والقلب إذا استحكم فيه الكفر والعى لا يجري على لسان صاحبه إلا ما ينبى بالتباعد عن الإيمان من معاذير لا تجدي، وتعليقات لا تفيد.

19- تشتت القلوب

قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]

يقول الطوسي - 460هـ: { بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى } معناه عداوة بعض هؤلاء اليهود لبعض شديدة وقلوبهم شتى بمعادة بعضهم لبعض أى ظاهرهم على كلمة واحدة وهم متفرقون في الباطن) ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (يعنى ما فيه الرشد مما فيه الغي . وقال مجاهد) وقلوبهم شتى (يعنى المنافقين وأهل الكتاب، وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لا اختلاف دواعيمهم وأهوائهم، وداعي الحق واحد، وهو داعي العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والاحسان في الفعل .

يقول الفخر الرازي: قوله تعالى: {تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى} يعني تحسبهم في صورتهم مجتمعين على الألفة والمحبة، أما قلوبهم فشتى، لأن كل أحد منهم على مذهب آخر، وبينهم عداوة شديدة، وهذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم، وقوله: {ذلك بأنهم قوم لا يعقلون} فيه وجهان: الأول أن ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم والثاني لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم. ويقول ابن عجيبة - 1224هـ: {تحسبهم} أي: المنافقين واليهود {جميعا} أي: مجتمعين ذوي ألفة واتحاد، {وقلوبهم شتى}: متفرقة لا ألفة بينها. قال ابن عطية: وهذه حالة الجماعة المتخاذلة. قال القشيري: اجتماع النفوس مع تنافر القلوب أصل كل فساد، وموجب كل تخاذل، واتفاق القلوب، والاشترار في الهمة، والتساوي في القصد، يوجب كل ظفر وسعادة. وما وصف به الحق تعالى المنافقين واليهود كله تجسير للمؤمنين، وتشجيع لقلوبهم على قتالهم. {ذلك} التفرق {بأنهم قوم لا يعقلون} شيئا، حتى يعرفوا الحق ويتبعوه، وتطمئن به قلوبهم، وتتحد كلمتهم، ويرموا عن قوس واحدة، لكن لما جهلوا الحق تشتت طرقهم، وتشتت القلوب حسب تشتت الطرق.

20- عذاب جهنم يقع في القلوب

يقول تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 7] أي تأكل اللحم والجلود حتى يخلص حرها إلى القلوب، ثم تكسى لحما جديدا، ثم تقبل عليه وتأكله حتى يصير إلى منزلته الأولى.

21- القلب محل الفتن

ورد في صحيح مسلم : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا

أَبُو خَالِدٍ - يَعْنِي

سُلَيْمَانَ بْنَ حَبَّانَ - عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ عَنْ رَبِيعٍ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَذْكُرُ الْفِتْنَ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلٌ. قَالَ تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَذْكُرُ الْفِتْنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُدَيْفَةُ فَأَسَكَتَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ أَنَا. قَالَ أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ حُدَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَإِذَا قَلْبٌ أُشْرِبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَجَّيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ». قَالَ حُدَيْفَةُ وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ يُوْشِكُ أَنْ يُكْسَرَ. قَالَ عُمَرُ أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ. قُلْتُ لَا بَلْ يُكْسَرُ. وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ. حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلِيَّطِ. قَالَ أَبُو خَالِدٍ فَقُلْتُ لِسَعْدِ يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًا قَالَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ. قَالَ قُلْتُ فَمَا الْكُوزُ مُجَجَّيًّا قَالَ مَنْكُوسًا. المجعى :

المائل عن الاستقامة والاعتدال المريد: المتغير سواده بكُدْرَة. الصفا: جمع الصفاة وهي الصخرة الملساء.

22- القلب محل الذنوب

عن أبي هريرة: (إن الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فإن هو تاب صقل قلبه) رواه الترمذي. قال: وهو الرين الذي ذكره الله في القرآن في قوله: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" [المطففين: 14]. وقال مجاهد: القلب كالكف يقبض منه بكل ذنب إصبع، ثم يطبع. وقد ورد في الحديث أن القلوب أربعة أصناف، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراج فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر"، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم، فأبي المدّتين غَلَبْتُ على الأخرى غَلَبْتُ عليه". أجرد: بمعنى عاري ليس عليه شيء؛ منكوس أي مقلوب أما مصفح: أي له وجهان

وقد بيّن ابن القيم رحمه الله معنى هذه القلوب فقال: (وقوله "قلب أجرد" أي متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق. و"فيه سراج يزهر" وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات

الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان، وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر، لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان. كما قال تعالى، حاكياً عن اليهود : (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، كقُلْفٍ وأقْلَف. وهذه الغشاوة هي الأَكِنَّة التي ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهي أَكِنَّةٌ على القلوب ووَقرٌ في الأسماع، وعمى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا). فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولّى أصحابها على أدبارهم نفوراً وأشار بالقلب المنكوس -وهو المكبوب- إلى قلب المنافق، كما قال تعالى: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا). أي نكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة. وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله، فالله المستعان. وأشار بالقلب الذي له مادتان إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراج، حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر. والحكم للغالب وإليه يرجع).

نتائج البحث

يمكننا أن نستنتج مما سبق ثلاث نقاط رئيسية:

1- الدماغ يخزن والقلب يدرك

القلب هو ملك الأعضاء وهو محل العقل والإدراك لدى الإنسان وهو المتحكم في عمل الدماغ عبر آليات للتواصل دقيقة ومعقدة لا تزال قيد البحث حيث يقوم الدماغ بتخزين المعلومات كما هي حسب ورودها وذلك عن طريق ما يسمي بالتغذية الراجعة ولذلك إذا أصيبت منطقة من الدماغ فإن الإنسان يفقد المعلومات المخزنة في تلك المنطقة، أما القلب فيحمل جميع المعلومات الأساسية والمهمة لإنجاز عمل ما في لحظة معينة من الدماغ ويخزنها في ذاكرته الخاصة والقصيرة الأمد حتى يستعملها الإنسان في العمل المراد إنجازه وكلما كان القلب أكثر توصالاً مع الدماغ وتمكن من استخراج المعلومات اللازمة لإنجاز هذا العمل كل ما كانت درجة الإتقان أكبر وهذا ما نسميه التركيز.

وتنتقل هذه المعلومات بين القلب والدماغ بصفة سريعة على شكل إشارات كهربائية تنتقل عبر الحقل الكهرومغناطيسي المنبعث بصفة قوية من القلب وبصفة أقل من الدماغ وكذلك عبر الجهاز العصبي وعلى شكل إشارات عصبية وعند الإنتهاء من هذا العمل يعاد تخزين المعلومات القديمة في الدماغ بعد إضافة المعلومات الجديدة المكتسبة من إنجاز هذا العمل

وخاصة كيفية إتقانه. فكلما حمل القلب واستخدم نفس المعلومات بشكل دائم ومستمر كلما ترسخت وانطبعت فيه. فكما يتعود الإنسان على قيادة السيارة أو على مزاوله رياضة معينة فكذلك الأخلاق والعادات الحسنة تنطبق في القلب بالعود والمزاوله "إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم" فعند تكرار أمر ما أو الارتباط بمسألة معينة فإنها تنطبق في القلب وتصبح مخالطة له بصفة دائمة ولذا توجب علينا ذكر الله والتفكر في خلقه وصفاته وإتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والمداومة على العبادة بإخلاص وخشوع حتى يمتلأ القلب بالإيمان ويخالطه وحيث أن كل شيء من تفكير وعمل إرادي يمر بالقلب وخاصة الخلايا العصبية المكونة لمخ القلب والتي إذا امتلأت بالإيمان فإن هذه الأعمال ستكون لا محالة مما يرضي الله سبحانه وتعالى وهذا مصداق ما ورد عن الحسن ابن علي رضي الله عنه: إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إن الإيمان ما قر في القلب وصدقه العمل. وكذلك ورد عن ابن حزم رحمه الله أن الإيمان عقد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ويقول الشعراوي: إذا كان القلب عامر باليقين والإيمان فكل جارحة تكون فيها خميرة الإيمان.

2- خطورة زراعة قلب الكافر أو الفاسق للمسلم

لقد رأينا في هذا البحث الأوصاف الدقيقة التي وصف الله تبارك وتعالى بها القلب وكذلك نقل القلب لبعض الصفات من الواهب إلي المتلقي فحين

موت الواهب يبقي في القلب آخر المعلومات المحملة من الدماغ أو التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقلب فأغلب من مات مقتولا يرى متلقي قلبه الكيفية التي مات بها وشكل المجرم الذي قتله وعادة ما يصفه وصفا دقيقا قد يؤدي إلى إلقاء القبض عليه وكلما كان ارتباط الشخص بأمر ما كبيرا جدا يتم تخزينه في القلب بصفة دائمة مثل من نحن ومكان وجودنا ومن هم الأشخاص المحيطون بنا وما نفضله وما نحب وما نكره وما نعتقد. كل هذا يستدعي التدقيق والاستقصاء قبل زراعة قلب الكافر أو الفاسق للمسلم المؤمن حتى لا يكون بداية انحراف له عن جادة الطريق رغم أن الهداية هي توفيق بدرجة أولى ولكننا رأينا أن كثرة الذنوب تؤدي إلي الإقفال والختم على القلب.

3- نزع الأجهزة عن المتوفي دماغيا

الإجراءات المتبعة الآن بنزع الأجهزة عن المتوفي دماغيا، تعتبر خطأ من الناحية العلمية والطبية حسب ما ورد عن الدكتور عبد الله آل عبد القادر، مدير مركز الأحساء. فباستمرار عمل القلب يبقى الإنسان على قيد الحياة، فالقلب أساس الحياة وبتوقفه يموت الإنسان، ولذا يعتبر بقاء تلك الأجهزة بقاء لحياة المريض، وهو تحت رحمة الله طالما القلب يعمل فلا ينبغي نزع الأجهزة عنه حتى ينقضي أجله الذي قدره الله عز وجل له. فما دام نزعها يؤدي إلى الوفاة، فهذا قد يسبب مشاكل أخرى من حيث قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن حيث الحقوق وخاصة التركة إذ يعتبر وارثا ولا

يترك ماله ما دام قلبه ينبض بالحياة. فكيف بنا نتجرأ على حرمانه من حقوقه وقطع عمله الصالح بتقرير نهاية أجله فقد ورد في صحيح البخاري عن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً" وفي العالم الغربي لا يتم نزع هذه الأجهزة عن المتوفي دماغياً إطلاقاً، إلا بموافقة ذويه، وربما احتاج ذلك استئذاناً من المحكمة، ولها إجراءات طويلة، فبعض القضاة لا يرى نزع الأجهزة عن المتوفي دماغياً إذا كان القلب يعمل.

الخلاصة

مما تقدم سواءً من الناحية القرآنية أو من الناحية العلمية يثبت لنا مما لا يدع مجالاً للشك أن القلب البشري مع الدورة الدموية الضخمة التابعة له ذات التعقيد الخلوي الكبير، وذات الأداء العالي الكفاءة، والتي تستمر في عملها وتغذيتها لكامل الجسد ومع المجال المغناطيسي القوي الذي يؤثر في الدماغ بصفة خاصة وفي كل ما يحيط بالقلب بصفة عامة وقد يتجاوز محيطه ليؤثر ويتأثر بالمنظومة الكونية الكبيرة حوله، في حدود تتحكم فيها الطاقة تارة، وتارة تعمل خارج حدود الزمان والمكان في تنظيم وتناسق مع الكون الفسيح نلمس حقائقه الآن، كل هذا يؤكد المكانة الشريفة لهذا العضو العظيم الذي هو مركز الحياة في الإنسان وليس مجرد مضخة بل هو ملك الأعضاء ويؤثر على خلايا الدماغ ويوجهها وليس العكس كما كان سائداً. ونجد أن القرآن الكريم قد تنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة بالتأكيد على أن القلب هو محل العقل والإدراك والفهم والمشاعر والأخلاق ومحل القصد والعمد، وله دوراً بارزاً في العلم والتعلم وهو محل الإيمان والكفر وغير ذلك من الصفات التي تشكل شخصية الإنسان.

وحيث أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بهذا القرآن العظيم فإن دورنا يجب أن لا يقتصر على تلقي أو تقديم المعلومة العلمية فحسب ولكن يجب أن يتجاوز ذلك إلى استقصائها من القرآن العظيم وتفسيرها وشرحها وتقريبها

بصفة علمية حتى تخالط عقول الناس من مسلمين وغير مسلمين خصوصاً في هذا العصر الحديث الذي يعتبر عصر الثورة العلمية في جميع المجالات.

لذا يجب إعادة النظر في فهمنا أو ما أريد لنا أن نفهمه عن دور القلب مستعينين بما ورد في القرآن العظيم من آيات لا تدع مجالاً للشك أن القلب هو مركز الحياة في الإنسان وانطلاقاً من إيماننا الراسخ بأن هذا القرآن منزل من عند خالق الأكوان وخالق القلب في الإنسان وهو أعلم بما خلق، والذي علم الإنسان ما لم يكن يعلم. إذن يجب علينا أن نبذل مجهوداً عظيماً على المستوى الداخلي في الجامعات والمعاهد العلمية الموجودة في الدول الإسلامية حتى نثبت للعالم وبطريقة علمية خطأ ما هو عليه من فهم لدور القلب من أنه مجرد مضخة، ولن يتأتى لنا ذلك إلا ببناء مخابر وإقامة معاهد متخصصة وإنجاز تجارب بوسائل وطرق علمية حديثة حتى نقدم براهين علمية على كل هذه الصفات التي نعتقد جازمين بوجودها في القلب، ونجيب على كثير من الأسئلة أوردت بعضها في الملحق التابع لهذا البحث. كما علينا أن ندعم على المستوى الخارجي كل المعاهد والجامعات المهتمة بهذا الموضوع والتي قطعت حتى الآن أشواطاً لا يستهان بها في هذا المجال ويمكن البناء على ما توصلت إليه حتى لا نضيع وقتاً أكثر. فكما رأينا سابقاً بينت هذه الأبحاث أن القلب يلعب دوراً متميزاً وأنه مركز لتحليل ومعالجة المعلومات ويحوي نظام للتواصل هو الأقوى والأقدر على

توزيع المعلومات بصفة دورية في جسم الإنسان فمع كل نبضة يبعث القلب برسائل إلى جميع الجسم بصفة عامة وإلى الدماغ بصفة خاصة عبر عدة طرق أهمها الحقل المغناطيسي للقلب والذي لم يعطى حتى الآن حظه الوافي من الدراسة رغم أهميته. وهذه الحقيقة عن قلب واع ورابط وذو حس هي إحدى الحقائق القرآنية والتي إذا وضعت في سياق علمي فسوف تغير كل شيء. يقول الله تبارك وتعالى في سورة الجاثية: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) [الجاثية: 6] قرآن صريح ومعجزاته واضحة لكن أين القلوب التي تعقله؟. ما كان في هذا البحث من صواب فمن الله الحكيم العليم وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان الرجيم فأرجو من الله العلي القدير أن يتجاوز عني خطأه وأن ينفع بصوابه الأمة الإسلامية وهو القادر على ذلك. والحمد لله رب العالمين. والله أعلم.

ملحق: أسئلة للبحث

أوردت في هذا البحث كلما استطعت الحصول عليه من معلومات وحقائق تم اكتشافها حتى الآن عن القلب أما المواضيع والأسئلة الواردة في هذا الملحق فتمثل حقلا خصبا للبحث العلمي على ضوء القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة وقد يكون من ضمنها ما تم تناوله في هذا البحث ولكن لا يمنع ذلك من إشباعه بحثا حتى يتم تأكيده وأرجو من الله العلي لقدير أن يوفقني ويوفق جميع المسلمين للرد عليها بطريقة علمية لا تدع مجالا للشك عند المشككين والضالين المضلين :

- 1- هل العقدة الجيبية الأذينية في القلب هي المنطلق في الإنسان؟
- 2- هل عملية الفهم تتم في القلب أم في الدماغ؟
- 3- هل للقلب ذاكرة قصيرة أو طويلة الأمد؟
- 4- كيف يكون القلب هو مركز الكتمان؟
- 5- هل القلب هو مركز القرار والكسب والعمد في الإنسان؟
- 6- كيف يمكننا فك شفرة الإشارات الصادرة عن القلب لكشف محتواها؟
- 7- كيف تؤثر الرسائل المنبعثة من القلب على الدماغ؟
- 8- كيف يمكننا توضيح العلاقة بين القلب والعقل من خلال التجارب العلمية؟

- 9- هل يتواصل القلب مع القلوب المحيطة به من مسافات بعيدة أو قريبة؟
- 10- هل يؤدي التجاذب بين المجالات المغناطيسية للقلوب إلى التآلف وكيف يتم ذلك؟
- 11- هل يتأثر قلب الشجاع من القلوب الخائفة المحيطة به؟
- 12- ما كيفية تواصل الحقل المغناطيسي للأرض والحقل المغناطيسي للقلب
- 13- ما هي علاقة النفس والهوى بالصدر والقلب؟
- 14- لماذا حين نأخذ نفساً عميقاً نحس بطمأنينة وراحة داخلية؟
- 15- إقامة تجربة تشهد على أن القلوب تطمئن بالقرآن وتسكن بالمواعظ؟
- 16- هل للقلب دور في حسن الأخلاق والمعاملات؟
- 17- ما هي طبيعة قلب من يعطف ويرحم وما وجه المقارنة مع قلب من لا يرحم؟
- 18- كيف ينشرح الصدر
- 19- هل تزيد طاقة القلب وتنقص؟
- 20- ما العلاقة بين القلب وعملية السمع والبصر؟
- 21- ماهي علاقة القلب بعملية الحفظ وسرعتها؟

- 22- مقارنة قلوب بعض الذين أتوا ملكوت الحفظ مع قلوب أناس عاديين
- 23- ماذا يميز قلوب حفظة القرآن العظيم ؟
- 24- هل الأعضاء تابعة للقلب وهل هو رئيسها وملكها.
- 25- ما معنى كون القلب مضغطة
- 26- هل للقلب علاقة بجهاز المناعة في الجسم "إذا صلح صلح الجسم كله وإذا فسد فسد الجسم كله"؟
- 27- كيف نقوم بتجربة على ضوء حديث الأمانة لتحديد موضعها في القلب وما علاقة ذلك بمخ القلب؟
- 28- ماذا يطرأ على القلب بعد إيمان صاحبه
- 29- كيف يمكن أن نثبت علمياً أن الدخول في الإسلام والإيمان بالله يفيد في استقرار القلب .
- 30- إجراء دراسات على قلوب أشخاص مسلمين وأشخاص من ديانات مختلفة وإجراء مقارنات
- 31- إجراء دراسة ومقارنة بين قلوب المؤمنين أولي الطاعة والعصاة والمنافقين؟
- 32- هل الختم والطبع والإقفال كله محسوس في القلب ؟
- 33- الشك والريبة وعلاقتهما بالقلب؟

- 34- كيف ينشرح القلب بالكفر أو ما معنى {شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا}
- 35- ما هي العلاقة بين سرعة ضخ الدم من القلب وما ورد في القرآن من وجف ووجل ورعب؟
- 36- في حالة الخوف هل بإمكاننا التخفيف من سرعة ضخ الدم وهل يقلل ذلك من الخوف؟
- 37- قلوب يومئذ واجفة أي زائلة عن أماكنها. نظيره " إذ القلوب لدى الحناجر" هل القلوب تتحرك من أماكنها حتى تقترب من الحناجر في حالة الخوف؟
- 38- هل النوم الخفيف والماء مساعدان على إزالة الخوف والغضب؟
- 39- الوضوء والوقوف والجلوس والإضطجاع وتأثير كل ذلك على الغضب
- 40- هل عضلة القلب تقسو أو تلين تبعاً للتغيرات النفسية؟
- 41- ما المعنى الفيزيائي لغلظة القلب وقسوته؟
- 42- يؤكد جميع العلماء على أن السبب الأول للوفاة هو اضطراب نظم عمل القلب، كيف تستقر القلوب وما العوامل المساعدة على ذلك؟
- 43- ما درجة تأثير الغل والحقد والحسد والشح على القلب؟
- 44- ما العلاقة بين القلب والكبر والتكبر؟

- 45- كيف يؤثر الكلام المثير في قلب الفاجر؟
- 46- ما معني أن تجد في قلبك اشماًأزا ونفوراً من بعض الأمور؟
- 47- ماالعلاقة بين القلب والإثم؟
- 48- كيف يؤدي تغير الحالة النفسية من غضب وقلق أو معاملة السيئة إلى ضيق في الصدر؟
- 49- كيف تتم الوسوسة وهل للشيطان وسيلة للتواصل مع قلوبنا؟
- 50- إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه ما معني أن يسود القلب بكثرة الذنوب وكيف يصبح كالكوز مجخياً؟

المراجع

[1] الأستاذ الدكتور / رولين مكارتي: رئيس فريق العلماء ومدير مركز البحث بمعهد القلب بكاليفورنيا - الولايات المتحدة الأمريكية. أستاذ محاضر بقسم الدراسات العليا بجامعة كليرمونت أستاذ زائر بقسم طب العائلة بجامعة ألاباما ويتمتع بخبرة فريدة من نوعها حيث أنه بدأ حياته المهنية كمهندس اتصالات بعدد من الشركات العملاقة مثل متورولا ومهندس تكنولوجيا الصواريخ بمركز ناسا NASA ، حاصل كذلك على ماجستير في مجال الفيزياء الإشعاعية ثم حصل بعد ذلك على درجة الدكتوراه في الطب حيث أصبح يحتل منصب النائب الأول لمدير معهد رياضيات القلب ومدير البحوث بنفس المركز. وقد مكنته هذه التجربة المخضرة من التوصل إلى اختراعات فريدة من نوعها بينها أجهزة إلكترونية للتحكم في نبضات القلب وتخفيف الإجهاد النفسي والتحكم في المجال الكهرومغناطيسي للقلب لتخفيف التوتر العصبي عند مرضى القلب بحيث توفر بديل علاجي للأدوية والتدخل الجراحي للقلب. كما يقود حالياً عدداً من البحوث الدولية في نفس المجال .

[2] صورة لدماغ القلب من الجزيرة الوثائقية فيلم وثائقي باسم : القلب

مستودع الذكريات

- [3] طبيب الأعصاب الدكتور أرمور المختص في علم «أعصاب الغدد الصماء» أستاذ بكلية الطب بجامعة مونتريال بكندا.
- [4] مقطع في الخلايا العصبية للقلب نفس المصدر السابق
- [5] نفس المصدر السابق
- [6] نفس المصدر السابق
- [7] الدكتورة كاندس بيرت مؤلفة كتاب [جزينات العاطفة]
- [8] الدكتور مجد كم الباز مدير المعهد العالمي للتنمية الاجتماعية والنفسية
<http://www.youtube.com/watch?v=5UkvJeZpXls>
- [9] لأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن آل عبد القادر مدير مركز الأمير سلطان للقلب في الأحساء بالمملكة العربية السعودية حائز على عدة شهادات دولية وبتقديرات ممتازة
- [10] تواصل القلب مع الدماغ عبر المجال الكهربائي قناة BBC فيلم وثائقي باسم : " القلب مركز الذاكرة "
- [11] كاري اشوارتز الأستاذ في علم النفس التحليلي في جامعة كيل بأريزونا
- Gary E. Schwartz, PhD, is Professor of Psychology, Surgery, Medicine, Neurology and Psychiatry at the University of Arizona. He is also Director of the Center for Frontier Medicine in Biofield Science and Director of the Human Energy Systems Laboratory, both at the University of Arizona. He is the co-author (with Linda Russek) of The Living Energy Universe (Hampton Roads

Publishing, 1999, soon to be re-released; reviewed in NEXUS 7/04), and co-author (with William L. Simon) of The Afterlife Experiments (Pocket Books, 2002; reviewed in NEXUS 9/04) and The G.O.D. Experiments (Atria Books, 2006).

[12] تغيير ذبذبات الدماغ تبعا لذبذبات القلب نفس المصدر السابق

[13] نفس المصدر السابق

[14] "دراسة ذاكرة القلب". « Studying Heart Memory »
(www.cumc.columbia.edu)

[15] الأستاذ بول بيرسال أستاذ في العلوم النفسية وطبيب أمراض عصبية وقلبية من جامعة هاواي مؤلف كتاب: شفرة القلب "The Hearts Code"

Paul Pearsall, PhD, is a Clinical Professor at the Department of Nursing, University of Hawaii. He is the author of over 200 professional articles and 15 international best-selling books including The Heart's Code (Broadway Books, 1998).

The Heart's Code: Tapping the Wisdom and Power of Our Heart Energy, New York, Broadway Books, 1998.

[16] الدكتور جاك كوبلاند أستاذ بجامعة كاليفورنيا في سان دييغو ترأس برنامج جراحة القلب في جامعة ولاية أريزونا لمدة 33 عاما ومعروف جيدا بعمله الرائد في زراعة القلب والريثة مؤسس الجمعية الدولية للقلب. كتب أكثر من 420 بحثا وقدمت في مئات المؤتمرات الوطنية والدولية. أنجز أكثر من

10.000 عملية قلب مفتوح، تخصص لعدة سنوات في reoperations والحالات ذات الخطورة العالية قام بأكثر من 850 عملية زراعة قلب و50 عملية زراعة قلب ورئة، وأكثر من 350 زراعة قلوب اصطناعية.

[17] السير مجدي حبيب يعقوب أستاذ مصري بريطاني وجراح قلب بارز ولد في 16 نوفمبر 1935 ببليس بمحافظة الشرقية بمصر لعائلة قبطية أرثوذكسية تتحدر أصولها من أسيوط. درس الطب بجامعة القاهرة وتعلم في شيكاغو ثم انتقل إلى بريطانيا في عام 1962 ليعمل بمستشفى الصدر بلندن ثم أصبح أخصائي جراحات القلب والرئتين في مستشفى هارفيلد (من 1969 إلى 2001) ومدير قسم الأبحاث العلمية والتعليم (منذ عام 1992). عين أستاذاً في المعهد القومي للقلب والرئة في عام 1986. واهتم بتطوير تقنيات جراحات نقل القلب منذ عام 1967. في عام 1980 قام بعملية نقل قلب للمريض دريك موريس والذي أصبح أطول عمر مريض نقل إليه قلب في أوروبا إذ بقي على قيد الحياة حتى يوليو 2005. من بين المشاهير الذين أجرى لهم عمليات كان الكوميدي البريطاني إريك موركامب. ومنحته الملكة إليزابيث الثانية لقب فارس في عام 1966 ويطلق عليه في الاعلام البريطاني لقب ملك القلوب

[18] الأستاذ عمر عبدالعزيز موسي نائب مدير جامعة الرباط في الخرطوم
يصور قلبه

في اليقظة والمنام ويعلن عن ذلك يوم 29 يناير سنة 2013 على قناة الشروق في برنامج مقاربات.

<http://www.youtube.com/watch?v=Sgd2gOHeidw>

[19] دراسة حول التفاؤل:

<http://www.medicalnewstoday.com/articles/275436.php>

[20] المعالجة النفسية ليندا ماركس عملت لمدة عشرين عاماً في مركز لزراعة القلب

Linda Marks, THE POWER OF THE HEART, www.healingheartpower.com, 2003.
The Power of the Soul-Centered Relationship, HeartPower Press, 2004

[21] الدكتورة ليندا روسك

Linda G. Russek, PhD, is an Assistant Clinical Professor of Medicine at the University of Arizona and Director of The Heart Science Laboratory of The Heart Science Foundation in Tucson, Arizona. She has co-authored more than 40 papers as well as the book, The Living Energy Universe (with Dr Gary Schwartz; see above). Editor's Note Paul Pearsall, Gary E. Schwartz, Linda G. Russek, Organ Transplants and Cellular Memories, Nexus Magazine, April - May 2005.

[22] عشر حالات زراعة قلب موثقة

[QUAND L'AUTRE VIT EN SOI...Greffe d'organe et mémoire cellulaire Cet article du Nexus n° 39 il a été à l'origine publié sous le titre :Changements de personnalité chez les transplantés du cœur faisant écho à celle de leur donneur” publié dans le Journal of Near-DeathStudies, vol. 20, n° 3, printemps 2002 Traduction : Christelle Guinot

Pearsall P, Schwartz GE, Russek LG, Changes in heart transplant recipients that parallel the personalities of their donors, School of Nursing, University of Hawaii,

[23] كلير سيلفيا

<http://www.youtube.com/watch?v=OIDwRnBcrGw>

[24] سوني غراهام جريدة ديلي ميل (2008/4/10)

[25] حالة جيم: الجزيرة الوثائقية فيلم وثائقي باسم : القلب مستودع الذكريات

[26] بيل ووهي

<http://www.youtube.com/watch?v=OIDwRnBcrGw>

[27] حالة دانيال نفس المصدر السابق

[28] نفس المصدر السابق

[29] القلب المجهول الكاتبة الفرنسية شارلوت فالاري

De Cœur inconnu, Le Cherche midi (2011)
(ISBN 9782749121277)

من علماء التفسير (برنامج الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم) :

[33] مفاتيح الفيض (التفسير الكبير) للرازي (ت 606هـ).

المؤلف : أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي، مفسر متكلم أشعري من أئمة الشافعية.

نبذة عن الكتاب:

من أشهر التفاسير التي تصنف ضمن التفسير بالرأي، اعتنى فيه المؤلف ببيان التناسب بين الآيات والسور، وفيه استطراد وتوسع في الحديث عن العلوم الكونية والمسائل الكلامية والفلسفية والفقهية وغيرها. كما يتضمن ردوداً على الفرق والنحل والمذاهب كالمعتزلة والفلاسفة وغيرهم. كما أنه يضم استنباطات دقيقة مفيدة.

ومن المعروف أن الرازي لم يكمله، فجاء شهاب الدين الخويي الدمشقي (ت 639هـ) وأكمل قسماً منه، ثم جاء بعده نجم الدين القمولي (ت 727هـ) فأتمه إلى الأخير، دون أن يتميز الأصل من التكميل. طبع ببيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م

[34] جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت 310هـ).

المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري نسبة الى طبرستان، شيخ المفسرين.

نبذة عن الكتاب:

من أجل التفاسير وأشهرها قال النووي : " أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري ". وهو عبارة عن موسوعة جامعة لتراث التفسير في القرون الثلاثة الأولى. وهذا الكتاب من أوثق وأقدم ما دون في التفسير بالمأثور، قال عنه الإمام السيوطي: "وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط فهو يتفوق بذلك على تفاسير الأقدمين". طبع طبعات كثيرة من أهمها: طبعة مكتبة البابي الحلبي في ثلاثين جزءاً عام 1373هـ. وطبعة بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر، وصل فيها إلى الآية 28 من سورة إبراهيم، وصدرت بين السنوات 1374هـ و1388هـ. وطبعة بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى 1422هـ.

[35] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت 597هـ).

المؤلف: أبو الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي مؤرخ حافظ محدث مفسر واعظ فقيه من علماء الحنابلة، ونسبته إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز.

نبذة عن الكتاب:

وهو كتاب متوسط في التفسير جامع مُلخَّصٌ لأقوال المفسرين من المتقدمين وغيرهم. وقد يرجح أحياناً، ويتعرض للقراءات، والمسائل الفقهية واللغوية. طبع ببيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1404هـ.

[36] تفسير يحيى بن سلام (ن 200هـ).

المؤلف: يحيى بن سلام، بن أبي ثعلبة التيمي البصري، ثم الإفريقي. مفسر، فقيه، حافظ، محدث، لغوي. أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم.

نبذة عن الكتاب:

من أقدم الكتب المستوعبة لتفسير جميع آيات القرآن الكريم، بمنهج جامع بين الأثر والنظر. طبع جزء منه (من النحل إلى الصافات) ببيروت، بتحقيق هند شلبي، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م. وهي النسخة المعتمدة في "الجامع".

[37] تفسير الشعراوي (ن 1418)

المؤلف: محمد متولي الشعراوي، من مشاهير علماء مصر ودعاتها في العصر الحديث.

نبذة عن الكتاب:

هو عبارة عن خواطر للشيخ رحمه الله تعالى في تدبره لكتاب الله تعالى، أذيع في عدة قنوات إذاعية وتلفزيونية، طبع منه من سورة الفاتحة إلى سورة الأحزاب، سنة 1991م، أخبار اليوم، قطاع الثقافة. وهي النسخة المعتمدة

في "الجامع" باستثناء سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران، فإنها حملت من الشبكة.

[38] نأويلات أهل السنة للماتريدي (ن 333)

المؤلف: أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، الملقب ب(إمام المتكلمين) وإليه نسبة الماتريدية.

نبذة عن الكتاب:

هو كتاب في تفسير القرآن قال عنه الشيخ عبد القادر في الجواهر المضيئة : "وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن". طبع بتحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م. وهي النسخة المعتمدة في "الجامع".

[39] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني

كلام ربنا الحكيم الخبير

المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الشربيني، مفسر، من فقهاء الشافعية والشربيني نسبة إلى شربين الغربية بمصر.

نبذة عن الكتاب:

اقتصر فيه المؤلف على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعريب محلها كتب العربية، وحيث ذكر فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات، وقد يذكر بعض أقوال

وأعاريب لفقوة مداركها أو لورودها ولكن بصيغة قيل ليعلم أن المرضى أولها. طبع ببيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1425 هـ - 2004 م.

[40] تفسير أبي حامد الغزالي (ت 505هـ)

المؤلف: أبو حامد الغزالي، شيخ الإسلام.

نبذة عن الكتاب: هو رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا (الماجستير) في الدراسات الإسلامية، أعدها الباحث محمد الريحاني تحت إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس المغرب، 1997م. وقد جمع الباحث في هذه الرسالة أقوال الغزالي في التفسير من كتبه المطبوعة.

[41] تفسير المنار لرشيد رضا

المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، عالم بالحديث والتفسير والأدب ولتاريخ. من كبار الدعاة إلى الجديد والإصلاح، وصاحب مجلة "المنار"، لازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. (ت 1354هـ)

نبذة عن الكتاب:

من التفسير الهامة التي كتبت في أوائل هذا القرن، توفاه الله قبل أن يكمله، وصل في تفسيره إلى الآية 52 من سورة يوسف. وقد فسره على المذهب السني المستمد من الحنبلية. طبع بدار الكتب العلمية 1420 هـ - 1999 م، وخرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه إبراهيم شمس الدين. وهي النسخة المعتمدة في "الجامع".

[42] العذب النмир من مجالس الشنقيطي (ت 1393هـ) في التفسير

– جمع: خالد السبت.

المؤلف: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني مفسر، من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد وتعلم بها، ثم استقر بالسعودية من سنة 1367هـ.

نبذة عن الكتاب: هي دروس في التفسير ألقاها الشيخ الشنقيطي في أماكن متعددة، جمعها واعتنى بها وعلق عليها خالد بن عثمان السبت. وطبعت بدار ابن القيم ودار ابن عفان الطبعة الأولى 1424هـ 2003م. وهي النسخة المعتمدة في "الجامع".

[43] جهود الإمام القرافي (ت 898هـ) في التفسير

المؤلف: أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله شهاب الدين، المشهور بالقرافي، فقيه، أصولي، مفسر، من علماء المالكية.

نبذة عن الكتاب:

هو عبارة عن رسالة قدمت للمناقشة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسة الإسلامية، أعدها الباحث إدريس مسكين تحت إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بظهر المهراز بفاس، المغرب. السنة الجامعية 1420-1421 هـ / 1999-2000 م.

[44] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان للقرطبي (ت 671هـ).

المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الأنصاري الخزرجي الأندلسي المالكي، من كبار المفسرين، محدث، فقيه.

نبذة عن الكتاب:

هذا الكتاب من أجمع ما صنف في أحكام القرآن، ولم يقتصر عليها. بل شرح سائر الآيات. مع عناية بأسباب النزول، القراءات، واللغات ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، والاستشهاد بأشعار العرب وعرض آراء الفقهاء وأقاويل المفسرين، مع النقد والرد. طبع عدة طبعات أولها عام 1933م بمصر وآخرها طبعة رابطة العالم الإسلامي 1427هـ 2006م.

[45] الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت 911هـ).

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، حافظ مؤرخ محدث مفسر أديب.

نبذة عن الكتاب:

اقتصر فيه على جمع ما ورد عن الصحابة والتابعين في التفسير، وضم لها ما ورد فيها من الأحاديث المخرجة من كتب الصحاح والسنن وبقية كتب الحديث، وحذف الأسانيد للاختصار، مقتصرًا على متن الحديث. كل ذلك على سبيل السرد من غير تعقيب أو تصحيح أو ترجيح. طبع ببيروت، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.

[46] النكت والعيون للماوردي (ت 450هـ).

المؤلف: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري، القاضي، الشافعي، الأصولي، المفسر، الأديب. والماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد. سكن بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة. يقال إنه كان يميل إلى مذهب الاعتزال في بعض المسائل، ولا يوافقهم في جميع أصولهم.

نبذة عن الكتاب:

يقول الماوردي في بيان مقصده ومنهجه: "جعلت كتابي هذا مقصورًا على تأويل ما خفي علمه وتفسير ما غمض تصويره وفهمه، وجعلته جامعًا بين أقاويل السلف والخلف، وموضحًا عن المؤلف والمختلف...". طبع بتحقيق خضر محمد خضر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، مطابع مقهوي، الطبعة الأولى: 1402هـ - 1982م.

[47] الكشاف عن حقائق التأويل للزمخشري(ت 538هـ).

المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، جار الله، والزمخشري نسبة إلى زمخشر من قرى خراسان. إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير.

نبذة عن الكتاب:

تفسير يكشف عن وجوه الإعجاز القرآني البلاغية، والأسلوبية، واللغوية. وهو أشهر تفاسير المعتزلة. طبع، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر سنة 1385هـ. 1966م.

[48] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للباقعي (ت 885هـ).

المؤلف: أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي، برهان الدين الباقعي، مفسر، مؤرخ، محدث، أديب، والبقاعي نسبة إلى البقاع في لبنان.

نبذة عن الكتاب:

تفسير نفيس لمعاني القرآن الكريم، مع اعتناء خاص ببيان وجوه التناسب بين آيات القرآن الكريم وسوره. مطبوع.

[49] بحر الملوح للسمرقندي (ت 373هـ).

المؤلف: أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد، السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، مفسر، محدث، صوفي من أئمة الحنفية.

نبذة عن الكتاب: كتاب جامع بين التفسير بالمأثور والمعقول، غير أن الغالب عليه نصوص مروية في التفسير، قال فيه حاجي خليفة: "وهو كتاب

مشهور، لطيف مفيد". طبع ببيروت بتحقيق محمود مطرجي، دار الفكر، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

[50] تفسير القرآن للعز بن عبد السراج (ت 660هـ)

المؤلف: العز بن عبد السلام، السلمي الدمشقي الشافعي . سلطان العلماء، من فقهاء الشافعية المجتهدين.

نبذة عن الكتاب:

هذا الكتاب مختصر جيد لكتاب (النكت والعيون) للماوردي. طبع بتحقيق الدكتور عبد الله الوهبي، في ثلاث مجلدات، دار ابن حزم، ببيروت 1416هـ - 1996م. ثم طبع مجردا عن الهوامش والتعليقات في مجلد واحد، بنفس الدار، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2003م.

[51] تفسير الجلالين بدأه جلال الدين المحلي (ت 864هـ) وأتمه جلال

الدين السيوطي (ت 911هـ)

المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد، جلال الدين المحلي، مفسر، أصولي، من فقهاء المالكية. قال عنه السخاوي: "كان إماما. علامة محققا نظارا مفرط الذكاء صحيح الذهن". عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي حافظ مؤرخ محدث مفسر أديب.

نبذة عن الكتاب:

(تفسير الجلالين) كتاب في تفسير القرآن الكريم بدأه

المحلي ولم يكمله، فأتمه جلال الدين السيوطي على نمطه، فسمي (تفسير

الجلالين). وهو مع صغر حجمه كبير المعنى قيل بأنه لب لباب التفاسير. وشرح الجلالين لمحمد بن محمد الكرخي وهو كبير في مجلدات سماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين).

[52] الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (ن 875هـ).

المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مفسر من كبار علماء الجزائر وصلحائها.

نبذة عن الكتاب: تفسير أثري مختصر من تفسير ابن عطية الذي يعتبره ابن خلدون عصاراة التفاسير المتقدمة عليه، غير أن شخصيته حاضرة في هذا التفسير بما أورده من التعقيبات والترجيحات بالنسبة لابن عطية وغيره من المفسرين، كما أنه اعتنى بالناحية التربوية بالتركيز على مواضع القرآن. طبع أكثر من مرة: طبعة قديمة في الجزائر سنة 1327 في المطبعة الثعالبية دون عناية أو تحقيق، ذيل بمعجم مختصر للمؤلف في شرح غريب بعض ألفاظ القرآن وطبع بأخر التفسير. وله طبعة أخرى قديمة بعناية محمد بن مصطفى ابن الخوجة بالجزائر سنة 1905م. وله طبعتان حديثتان: الأولى بتحقيق عمار الطالبلي - المؤسسة الوطنية للكتاب والثانية بتحقيق محمد الفاضلي - المكتبة العصرية - بيروت سنة 1417هـ.

[53] في ظلال القرآن لسيد قطب (ن 1387هـ).

المؤلف: قطب، سيد بن قطب بن إبراهيم، كاتب عالم بالتفسير، من كبار المفكرين الإسلاميين والأدباء في مصر في الثلث الثاني من القرن العشرين ومن شهداء النهضة الإسلامية الحديثة.

نبذة عن الكتاب: كتاب الظلال من أهم كتب التفسير في العصر الحديث، أبان فيه عن معاني القرآن الكريم بلغة راقية وأسلوب رفيع، مستخلصا منه ما يجلي شمولية المنهج الإسلامي وقوته، ومستخلصا منه ما يمكن تسميته بالهدى المنهجي الذي يفيد المسلم في تمثل الإسلام والدعوة إليه. هذا فضلا عن نقده لكثير من الأفكار المنحرفة والأخبار الواهية الواردة في مصادر التفسير. وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة.

[54] فتح الرحمن بكشف ما يلنبس في القرآن لذكريا الأنصاري (ت 926هـ)

المؤلف: أبو يحيى، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي شيخ الإسلام.

نبذة عن الكتاب: يعد كتابه من أهم ما كتب في الإجابة عن مشكلات القرآن الكريم. طبع بتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ.

[55] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت 774هـ).

المؤلف: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، عماد الدين، مؤرخ مفسر محدث، من فقهاء الشافعية.

نبذة عن الكتاب: من أهم كتب التفسير بالمأثور، مع وجازة لفظه وشمول معانيه، وقد تلقته الأمة بالقبول قديما وحديثا، واشتهر عند العامة والخاصة. قال أحمد شاكر في اختصار لهذا التفسير : وبعد فإن تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا، وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري". طبع طبعات كثيرة من أحسنها طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع. بتحقيق : سامي بن محمد سلامة. الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م.

[56] إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود النيسابوري (ت 553هـ).

المؤلف: أبو القاسم نجم الدين محمود بن أبي الحسن بن الحسين الملقب بـ"بيان الحق" النيسابوري، مفسر فقيه متفطن فصيح

نبذة عن الكتاب: ضمنه المؤلف خلاصة ما صنف في غريب القرآن ومعانيه. طبع بتحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي دار الغرب الإسلامي، بيروت 1415هـ. وطبع بتحقيق الدكتور علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م. وهي النسخة المعتمدة في البرنامج.

[57] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (ت 880هـ).

المؤلف: أبو حفص عمر بن علي الدمشقي ابن عادل، الحنبلي النعماني، فقيه، مفسر. لا توجد له ترجمة وافية.

نبذة عن الكتاب: قدّم له المؤلف بكلمات قليلة جدا فقال " .. وبعد فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسمّيته: "اللباب في علوم الكتاب". ولم يزد على ذلك شيئا. وهذا الكتاب موسوعة جامعة لتفسير القرآن الكريم ومباحث متنوعة من علومه. واهتم المؤلف فيه أيضا ببيان معاني المفردات وعرض الأمور النحوية ووجوه الإعراب، والشواهد الشعرية، كما يعرض لأوجه القراءات وأقوال المفسرين، ويعقد فصولا كثيرة في أمور تتعلق بالآيات من الناحية العقدية والفقهية والوعظية وغير ذلك. طبع ببيروت بتحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود دار الكتب العلمية الطبعة الأولى: 1998.

[58] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ن 542 هـ).

المؤلف: أبو محمد، عبد الحق بن غالب ابن عطية، الأندلسي الغرناطي، مفسر قاض عارف بالأحكام والحديث، أديب، شاعر، من فقهاء المالكية.

نبذة عن الكتاب: تأليف سهل العبارة، يورد من التفسير المأثور، ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جرير كثيرا، كما ينقل عن غيره مع المناقشة، كثير الاستشهاد بالشعر العربي، معنيّ بالشواهد الأدبية، يحتكم إلى اللغة العربية لدى توجيهه بعض المعاني، كثير الاهتمام بالصناعة النحوية. طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ثم طبع بدولة

قطر بتحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم،
الطبعة الأولى 1402هـ - 1982م.

[59] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من على

النفسير للشوكاني (ت 1250هـ).

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه، أصولي،
محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن، والشوكاني نسبة إلى هجرة شوكان
باليمن.

نبذة عن الكتاب: من أهم التفاسير الجامع بين النقل والرأي. يذكر
مجموعة من الآيات، ثم يبين معانيها، اعتمادا على أقوال المفسرين وأئمة
اللغة، مع النقد والترجيح، ثم يختم تفسير تلك الآيات بالأحاديث والأخبار
التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن السلف. طبع ببيروت
بتحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، 1414هـ - 1993م.

[60] زهرة التفاسير لأبي زهرة.

المؤلف: أبو زهرة: محمد أحمد مصطفى (ت 1394هـ)، كان متبحرا في
الفقه وأصوله وفي علوم القرآن وتفسيره وخطيبا مفوها وأصوليا متعمقا
ومجتهدا. وله 42 مؤلفا.

نبذة عن الكتاب: لم يفدر للمؤلف تنمة تفسيره هذا، حيث وصل فيه
إلى الآية 74 من سورة النمل، وطبع بدار الفكر العربي، بالقاهرة، بدون
تاريخ.

[61] فنج البيان في مقاصد القرآن

المؤلف: أبو الطيب: محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القنوجي الهندي البخاري، من رجال الإصلاح الإسلامي. (ت 1307هـ)

نبذة عن الكتاب: طبع بالمكتبة العصرية، بيروت، عني بضبطه وقدم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. 1412هـ - 1992م. وهي النسخة المعتمدة في "الجامع".

مراجع ومواقع أخرى:

العقل والقلب بين حقائق القرآن وأبحاث العلماء بقلم: د. طه بامكار

<http://www.husseinmardan.com/DrHisham-07.htm>

His Heart Whirs Anew, Washington Post, August 11, 2007.

Heart, Wikipedia.

Science of the heart, Institute of HeartMath.

Does your heart sense your emotional state?

www.msnbc.msn.com, Jan. 26, 2006.

Annual Meeting of the Pavlovian Society, Tarrytown, NY, 1999.

One heart links two men in life and death,

<http://www.smh.com.au/>

<http://www.kansascity.com/440/story/563838.html>

<http://www.therealesentials.com/followyourheart.html>

<http://www.medicinenet.com/script/main/art.asp?articlekey=87828>

<http://www.webmd.com/heart-disease/news/20080313/pessimism-deadly-for-heart-patients>

<http://www.paltoday.com/arabic/news.php?id=62570>
Music 'can aid stroke recovery', BBC.co.uk, 20 February 2008.

Simon Heather, The Healing Power of Sound.
http://www.dailymail.co.uk/pages/live/articles/news/news.html?in_article_id=558271&in_page_id=1770
http://www.dailymail.co.uk/pages/live/articles/health/healthmain.html?in_article_id=558256
http://www.dailymail.co.uk/pages/live/articles/news/worldnews.html?in_article_id=557864
<http://www.healingheartpower.com/>
www.kaheel7.com/ar
http://55a.net/firas/arabic/?page=sh...&select_page=2

Kate Ruth Linton Under the supervision of: Tom Anderson. Knowing By Heart: Cellular Memory in Heart Transplants. MONTGOMERYCOLLEGE STUDENT JOURNAL OF SCIENCE & MATHEMATICS. Volume 2 September 2003

American Heart Association. "Heart Transplantation." 2002. MedLine Plus. 20Nov. 2002. <www.nlm.nih.gov>. This website provides some statistics concerning heart transplantation and survival rates.

Bellecci, Pauline M., MD. "The Heart Remembers." 2002. The Natural Connection. 12 Nov. 2002. <<http://www.thenaturalconnection.net>>.

Carroll, Robert Todd. "Cellular Memory." 2002. The Skeptics Dictionary. Nov. 12 2002. <<http://skepdic.com/cellular.html>>. <http://www.afeaa.com/vb/showthread.php?t=7583>

العبد الفقير إلى ربه : الحسن عبد الحي الحسن جيجا من بلاد شنقيط.
طالب علم وداعية إلى الله، مهتم بالإعجاز العلمي في القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، باحث في طرق اتصالات القلب والدماغ.
حاصل على شهادة ماستر في اتصالات الطيران من المدرسة الوطنية للملاحة الجوية بفرنسا سنة 2010 وعلى شهادة مهندس اتصالات سلكية ولاسلكية من المعهد الوطني للاتصالات (عبد الحفيظ بوسوف) بوهان الجزائر سنة 2000.
خبير اتصالات طيران بالشركة الإفريقية لأمن الملاحة الجوية بإفريقيا ومدغشقر (أسكنا) منذ سنة 2002، ومسؤول عن إدارة أكبر شبكة اتصالات عبر الأقمار الصناعية في إفريقيا والبحر الهندي من المحطة الأرضية التابعة لآسكنا في داكار بالسنغال.
أستاذ اتصالات سلكية ولاسلكية لمدة سنتين في جامعة نواكشوط وعدد من المعاهد الحرة بموريتانيا.

العنوان البريدي: hacenhaye@yahoo.fr

الهاتف النقل : +221 77 618 40 34

الهاتف المنزلي : +221338672328
